

فتح العزيز الوهاب

بتفسير ومسائل

فاتحة الكتاب



تأليف

الفقيه إلى عضو ربه

أبي إبراهيم خليل بن هزاع بن سعود الفقير

فتح العزيز الوهاب

بتفسير ومسائل

فاتحة الكتاب

تأليف

الفقير إلى عفو ربه

أبي إبراهيم خليل بن هزاع بن سعود الفقيه

كان الله له

ح خليل هزاع سعود الفقير، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفقير، خليل هزاع سعود

فتح العزيز الوهاب بتفسير ومسائل فاتحة الكتاب. / خليل
هزاع سعود الفقير. - الرياض ١٤٣٢هـ.

٨٩ ص؛ ١٤ × ٢١

ردمك: ٨-٧٣٠٧-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- القرآن - سورة الفاتحة - تفسير ٢- القرآن - الفتيير

أ- العنوان

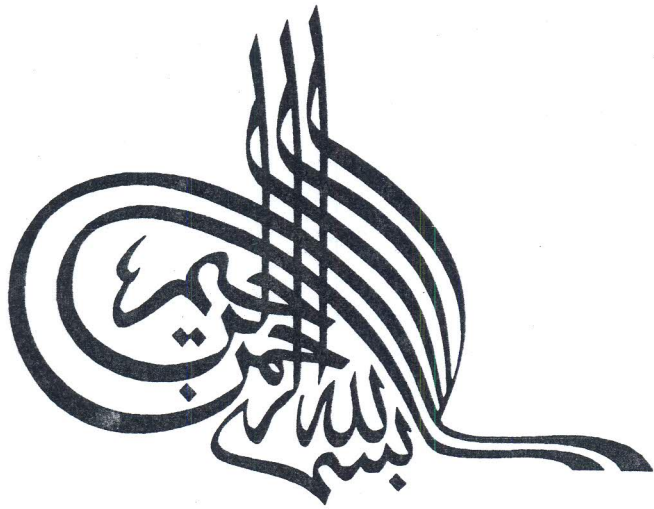
الحديث

١٤٣٢ / ٣٩٨٦

ديوي ٢٢٧,٦

رقم الإيداع: ١٤٣٢ / ٣٩٨٦

ردمك: ٨-٧٣٠٧-٠٠-٦٠٣-٩٧٨



الحمد لله صرف الأثر على مشيخته، ومدبرها بقدرته، أحمدوه على ما بطن من نعمة رخصه، وأصله
على نبيه قديراً، وعلى آله الناطقين بروش الحكيم وصوابه .. أما بعد

هذا الكتاب كناية عن «تفسير لسورة لقائه» رجع لغايتها ومعانيها،
في ترتيب حسن، وتأليف لطيف، كتبه أحد خاصية إطلاب، ومن أنبؤهم، وأجودهم
عقلًا ودينًا، وكنت أتمنى في مستقبله خيرًا كثيرًا، ولكن قضاء الله سبحانه وتعالى
أن يكون سابعه إلى ما هو أفضل لعبده من ضمنا له، فإنه واسع لفضل عظيم لا يحصى له.
كتب هذا المؤلف ~~في~~ ^{لشيخ} ^{الشيخ} ^{إصطخ} ^{أهلين} ^{لفقيه} رحمه الله وغفر له، ما عرفته
إلا طاب علمهم، صاحب جود وتوقير وتعلم، مع بساطة لسانه ورسوخ
اللفظ، عتقنا برين منيه، وأصل تصوي.

وكتاب هذه الرسالة وفقه إلى هذا المؤلف، أنه يكون ابنًا له بعد
صوته، يجري له به لعلم نافع لذي لا ينقطع، وكتاب «الدين الخلد» كما قاله
ابن الجوزي.

نفع له جود الكتاب ورحم كاتبه،

بصلى وسلم على سيدنا محمد.

عبد العزيز بن محمد بن زور

١٤٢٢/٥/١٥

تقديم

فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن مرزوق الطريفي

الحمد لله مصرف الأقدار على مشيئته، ومدبرها بقدرته، أحمدته على ما بطن من نعمته وظهر، وأصلي على نبيه خير البشر، وعلى آله الناطقين برشد الحكم وصوابه .. أما بعد

هذا الكتاب كما في عنوانه: «تفسير لسورة الفاتحة» وجمع لفوائدها ومعانيها، في ترتيب حسن، وتأليف لطيف، كتبه أحد خاصة الطلاب، ومن أنبههم، وأرجحهم عقلاً ودينًا، وكنْتُ أمل في مستقبله خيرًا كثيرًا، ولكن قضاء الله سابق، وعسى أن يكون سبق إلى ما أفضل لعبده من ظننا له، فالله واسع الفضل عظيم الإحسان.

كاتب هذا المؤلف الشيخ الصالح الشاب / خليل الفقير رحمه الله وغفر له، ما عرفته إلا طالب علم نهم، صاحب جد وتوقير وتعظيم، مع بساطة اللسان وشرف اللفظ، مقترن بدين متين، وأمل قصير.

والكاتب لهذه الرسالة وُفق إلى هذا المؤلف، أن يكون

ابنًا له بعد موته، يجري له به العلم النافع الذي لا ينقطع،
والكتاب «الابن المخلد» كما قاله ابن الجوزي.

نفع الله بهذا الكتاب ورحم كاتبه،،

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

عبدالعزیز بن مرزوق الطریفی

١٤٣٢/٥/١٥ هـ

نبذة عن المؤلف

عرفته أوائل دخولي للجامعة ١٤٢٤ فأحبته من أول لقاء، و صدق عليه الصلاة و السلام حين قال: "الأرواح جنود مجندة".

صفاته:

- كان رَحِمَهُ اللهُ بشوشا بساما عند اللقاء، طيب المجالسة، وكان مجلسه من خير المجالس الأخوية. لا نجلس معه مجلسا إلا و يملؤه بالفائدة العلمية والنادرة التاريخية مع الطرفة و الملححة.
- كان عابدا صالحا مجتهدا، يجلس في المسجد الساعات الطوال مصليا قارئاً داعيا مبتهلا.
- كان شديد الغيرة على حرمت الله. لا يرى منكرا إلا وينهى عنه حتى يزول.

مواقف:

- كان رَحِمَهُ اللهُ يأتي لصلاة الجمعة مبكرا فيأتي نحو الساعة السابعة صباحا فيدخل غرفة في المسجد يتعبد فيها و لا يخرج منها إلا مع الأذان الأول فيأخذ مكانه، فيظن الناس أنه للتو أتى.

- كنت مرة في مسجد إسكان طلاب الجامعة بعد صلاة العشاء بفترة و كان المسجد خاليا تقريبا، و كنت أسمع قراءة غير واضحة من الغرفة المذكورة، فاقتربت منها فوجدت خليلا يقوم الليل.
- يحدثني أخوه مقرن وفقه الله لكل خير أنه كان كثيرا ما يمر ليلا على غرفة خليل في بيتهم فيسمعه إما قارئاً أو داعياً.
- عام ١٤٢٥ قبل رمضان دعانا لمدارسة كتاب الصيام، فكنا نجتمع في غرفته كل يوم عصرا، وهذا من حرصه على العلم.
- دخلت مرة مسجد السكن ٢ ظهرا و كان خاليا تماما، وأرى شخصا جالسا في الصف الأول، فلما اقتربت منه وجدته خليلا وكان نائما مستندا على مسندة الصف الأول وبين يديه مصحف، فعرفت أنه من شدة الإعياء والتعب، فخشيت أن تؤلمه رقبتة إذا استيقظ، فأخذت المصحف الذي بين يديه و أيقظته، و قلت له: (خليل .. اذهب لغرفتك كي ترتاح) فشكرني ثم قام، وبعدها بقليل أرسل رسالة يقول فيها: (أشكرك أخي عبدالله على اهتمامك بإخوانك وحرصك عليهم). فكان رَجَاءُ اللَّهِ

يرد الجميل فمع هذا الموقف الصغير الذي لا يكاد يذكر إلا أنه أبي إلا أن يشكرني، وهذا من دماثة خلقه وحسن أدبه ﷺ.

- حضرت له خطبة في جامع السكن المبارك وكانت عن سورة (ق) قرأها وفسرها بلا ورقة، ثم بعد ذلك تذاكرنا الخطبة بسورة (ق) فقال كلاما، فحواه: أنها سنة مهجورة يجب إحيائها فكان ﷺ معظما للسنة متبعها لها.
- لما كنت خطيبا في جامع السكن أرسل لي مناصحا: (لو تقصر الخطبة و تطيل الصلاة كما هي السنة). وكانت هذه الرسالة آخر رسالة أرسلها لي ﷺ، فكان دائم النصح لإخوانه و أحبائه.

وقد كتبت فيه مقالا بعد وفاته في مرآة الجامعة وهذه نصها:

الصبر الجميل على فقد أختنا (خليل).

في كل يوم نشيع غاديا ورائحا على الله قد قضى نحبه، وانقضى أجله، فنودعه ونودعه في صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد، قد خلع الأسباب وفارق الأحباب، وسكن التراب، وواجه الحساب، غنيا عما خلف، فقيرا إلى ما أسلف. ونحن - ودعنا أخا كريما وصديقا وفيا، ومجبا خليلا، إنه خليل بن هزاع العنزي، رحمة الله تعالى

عليه - الطالب في المعهد العالي للقضاء والساكن في السكن الجامعي. (خليل) عرفناه في المساجد العبد الطائع، وعند الكلام يشنف المسامع، وإذا نصح فهو المحترق الصادق، وإذا وعظ فحديثه ذو رقائق، وهو في المجالس إمام الدعابة والمرح، فهو للتكلف طرح، ومن كريم أخلاقه منح. جاءني نعيه في رسالة جوال، فلم أصدق ما أرى، إلى أن جاءني رسالة أخرى، فلما تأكدت من الخبر، وأمعت النظر، بدأت أرسل لأصحابه، فبدأت بترتيب الاسماء في الجوال من حرف (أ)، فلما وصلت إلى حرف (خ) جاءني اسم (خليل)، فجلست أفكر: هل أرسل إليه أنك قد صرت في عداد الموتى، لكن لو فعلت لن يغني عنه شيئاً. أم أنني أمسح اسمه من ذاكرة جوالي؟ بعدما احتضنه سنوات طويلة، لكن حتى لو مسح من ذاكرة الجوال، فلن يمسخ من ذاكرة الأذهان.

فجلست مدة.. وأنا أنظر في اسمه، ويمر على ذهني شريط الذكريات معه، فلم ينقطع إلا بعدما انتقلت إلى حرف (الدال)، لأواصل الإرسال، فجلست ساعة كاملة: لم يهدأ جوالي من الاتصالات، للعزاء والمواساة، أو للسؤال عن مكان الصلاة. ولن أنسى آخر جلسة جلستها مع (خليل) حين قال لي: إني كتبت تفسيراً عن سورة الفاتحة،

فقلت له: التفاسير كثيرة، فقال لي: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث - وذكر منها - أو علم ينتفع به) ثم قال لي: فلعلني أموت قريباً، ويكون هذا من العلم النافع. ومن العجيب: أنه قبل موته بأربعة أيام ألقى كلمة عن (الموت)، قال فيها: من يعلم أنه سيدرك رمضان القادم، فقد يأتي رمضان، وهو في عداد الموتى، وفعلاً أتى رمضان فكان (خليل) هو المقصود والمعنى. لكن عزاؤنا أنه مات يوم الجمعة، وهو ذاهب لصلاة الجمعة، وهو صائم ونطق بالشهادة قبل موته. لكن: ما الذي قدمناه نحن لذاك اليوم؟ فاللهم ارحم عبدك (خليلاً) وأنزل على قبره شأبيب الرحمة، وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة، واجمعنا به هناك على سرر متقابلين.

لفته:

أخي لقد نصحتك فاستمع لي

وبالله استعنت على قبولك

ألست ترى المنايا كل حين

تصيبك في أخيك وفي خليلك

وكتبه / عبد الله بن محمد أبا الخيل

مقدمة الكتاب

الحمد لله الكبير المتعال، القوي العزيز القهار، مكور الليل على النهار، حمدا طيبا مباركا يليق بجلاله وعظيم سلطانه وهو الرحيم الغفار، وأصلي وأسلم على المصطفى المختار، نبينا محمد وعلى آله الكرام الأبرار، وأزواجه الكريمات أمهات المؤمنين الأطهار، وأصحابه نجوم الليل وضياء النهار، ومن اهتدى بهديهم وسار على نهجهم إلى يوم الدين، وبعد:

فإنه قد صح عنه ﷺ أنه قال: «تركتم فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي»^(١)، وما ابتليت الأمة في سنيها الأخيرة بمثل ما ابتليت به من هجر كتاب ربها، وقد شكنا نبينا ﷺ هذا الهجر كما في قوله جل شأنه: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾^(٢)، فكان لزاما على علماء الأمة أن يعيدوا الأمة إلى رشدتها ببيان ما أوجب الله عليهم بيانه مما جاء في قوله جل شأنه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ

(١) موطأ مالك الجامع (١٦٦١).

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٣.

لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴿١﴾.

ولكن واقع الأمة في أحسن أحوالها مع كتاب ربها أن اهتمت بطبعه وتزيينه وتحفيظه، ومع عودة مباركة للسنة النبوية سيما من جهة دراسة علم الرجال والأسانيد في فئة من المسلمين قليلة، إلا أن واقع الأمة مع كتاب ربها العظيم لم يبرح ما ذكرنا، واهتموا بالتغني به وتطريبه وإحياء مواسم البدع به حتى قُدم الجاهل بالعلم لا لشيء إلا أنه يطربهم، مما كان أبو هريرة - كما روي عنه - يخاف أن يدركه هذا الزمان.

نسأل الله أن يرد الأمة إلى كتابه وسنة نبيه خير رد. وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(٢). لذا جلس الأئمة من سلف هذه الأمة من الصحابة وتابعيهم رضوان الله تعالى عليهم في المساجد يعلمون تلاوة كتاب الله العزيز وفقهه حتى توفاهم الله.

ولما أراد راقم هذه الرسالة أن يكون له نصيب من هذه الخيرية، مع توفر أسباب تحث على ما أراد من خوف

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه.

اخترام المنية له على صغر سن وقلة مال وانعدام ولد؛ أثر أن يكتبها مستعينا بالله، بعد تردد دام زمنا طويلا يقدم رجلا ويؤخر أخرى، والله أسأل أن يغفر لي جرأتي هذه وأن يوفقني والقارئ للعلم النافع مقرونا بالعمل الصالح، وأن يثبتنا على هداه الذي هدى به نبيه حتى نلقاه ﷺ غير مبدلين ولا مغيرين.

والسورة التي نحن بصدد تفسيرها وبيان مسائلها ولطائفها هي أعظم سورة في كتاب الله، و والله إن عجبني لا ينقضي ولن ينقضي مما ظهر لي عند تأمل آياتها، وأشهد أن بها نورا يهدي الأمة للخروج مما هي فيه من مهيع الظلمات.

والكلام في هذه السورة من جزأين: الأول في بيان معاني آياتها ولطائفها والثاني في بيان أحكامها ومسائلها.

وليس لي في هذا الشرح ولا في هذه المسائل فضيلة أمت بها ولا وسيلة أتمسك بها سوى أنني جمعت فيه بعض ما تفرق في تلكم الكتب التي نقلت عنها.

وأحببت أن أنتهج في تفسير هذه السورة أسلوب التقرير ثم المقارنة بين التفاسير عند الحاجة كالتنبيه على خطأ أو لطيفة أو فائدة.

ومن وجد ما ينتقد على اجتهاد العبد الفقير فليوجهه
مشكورا مأجورا على هاتفه وذلك برسالة جوال
(٠٥٩٤١٩٢٦٨٢).

والله الهادي والموفق،،،

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المؤلف / خليل بن هزاع الفقير^(١)

الجيل الصناعية ١٦/٧/١٤٢٨ هـ

(١) توفي المؤلف ضحى يوم الجمعة الرابع من شهر شعبان عام ١٤٢٨ هـ وهو متوجه لصلاة الجمعة مغتسلا متطيبا لابسا أبهى حله في حادث سيارة في محافظة العلا مسقط رأسه، التابعة لمنطقة المدينة المنورة وله أربع وعشرون سنة رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه المولى الفردوس الأعلى مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

سورة الفاتحة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ [الفاتحة: ١-٧].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الباء هنا للاستعانة، أي استعنت باسم الله، أي أبدأ كل عمل صالح مستعينا على فعله بذكر الله. والله هو ربنا المعبود بالحق سبحانه، وفي الاستعاذة (أعوذ بالله) أي استعدت بالله.

المعنى اللغوي للفظة (اسم): قال الزجاج^(١): "معنى قولنا اسم: هو مشتق من السمو وهو الرفة والأصل فيه: سمو مثل قنوء وأقناء" وقال الجوهرى مثله. وقال ابن سيده: "والاسم اللفظ الموضوع على الجوهر". قال ابن تيمية في الفتاوى (٦/٢٠٧ - ٢١٠): "وهو مشتق من السمو وهو العلو كما قال النحاة البصريون، قال النحاة الكوفيون: هو مشتق من السمة وهي العلامة، وهذا صحيح في الاشتقاق الأوسط وهو ما يتفق فيه حروف اللفظين دون ترتيبهما، فإنه في كليهما (السين والميم والواو) والمعنى صحيح"، ثم قال: "لكن اشتقاقه من السمو هو الاشتقاق الخاص الذي يتفق فيه اللفظان في الحروف وترتيبها، ومعناه أخص وأتم، فإنهم يقولون في تصريفه: سميت ولا

(١) لسان العرب ١٤/٣٩٧.

يقولون وسمت، وفي جمعه: أسماء لا أوسام، وفي تصغيره سمي لا وسيم ويقال لصاحبه مسمى لا موسوم، وهذا المعنى أخصر، فإن العلو مقارن للظهور، كلما كان الشيء أعلى كان أظهر". فهل الاستعانة باسم الله كالاستعانة بالله؟ بمعنى هل الاسم هو المسمى أو غيره؟ في جواب ذلك خلاف بين أهل الحق والهدى أهل السنة والجماعة وبين أهل الزيغ والهوى من المبتدعة الضلال وتمعن رعاك الله في جواب شيخ الإسلام ابن تيمية على هذا السؤال، يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد أن أورد هذا السؤال: "الناس قد تنازعوا في ذلك، والنزاع اشتهر بعد الأئمة بعد أحمد وغيره، الذي كان معروفاً عند أئمة السنة أحمد وغيره الإنكار على الجهمية الذين يقولون أسماء الله مخلوقة ويقولون الاسم غير المسمى وأسماء الله غيره وما كان غيره فهو مخلوق، وهؤلاء هم الذين ذمهم السلف وغلظوا فيهم القول لأن أسماء الله كلامه وكلام الله غير مخلوق بل هو المتكلم به وهو المسمى لنفسه بما فيه من الأسماء، والجهمية يقولون: كلامه مخلوق وأسماءه مخلوقة، وهو نفسه لم يتكلم بكلام يقوم بذاته ولا سمي نفسه باسم هو المتكلم به، بل قد يقولون إنه قد تكلم به وسمى نفسه بهذه الأسماء بمعنى أنه خلقها في غيره، لا بمعنى أنه نفسه

تكلم بها الكلام القائم به، فالقول في أسمائه هو نوع من القول في كلامه " اهـ.

وتفصيل شارح الطحاوية في هذا مفيد حيث قال: " طالما غلط كثير من الناس في ذلك وجهلوا الصواب فيه، فالاسم يراد به المسمى تارة ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى، فإذا قلت: قال الله كذا أو سمع الله لمن حمدته ونحو ذلك، فهذا المراد به المسمى نفسه، وإذا قلت: الله اسم عربي والرحمن اسم عربي والرحيم من أسماء الله تعالى ونحو ذلك، فالاسم هاهنا هو المراد لا المسمى، ولا يقال غيره، لما في لفظ غيره من الإجمال".

ولما كان من عقيدة أهل السنة والجماعة استبيان الألفاظ المجملة، فصل ما يراد بلفظ الغير فقال: " فإن أريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعنى فحق، وإن أريد أن الله سبحانه كان ولا اسم له حتى خلق لنفسه أسماء أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم، فهذا من أعظم الضلال والإلحاد في أسماء الله تعالى " اهـ.

وقد بوب البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد بقوله (باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها)، قال ابن بطال: " مقصوده بهذه الترجمة تصحيح القول بأن الاسم

هو المسمى فلذلك صحت الاستعاذة بالاسم كما صحت بالذات" ، وللاستزادة في هذا يراجع كتاب (الرد على الجهمية) لابن أبي حاتم ومجموع فتاوى شيخ الإسلام المجلد السادس. وهذا التفريق لم أجد عليه دليلا ولا أرده، وهو فرق لطيف ما وجد دليلا عليه إلا أن يدخله مدخل في باب الإخبار عن الله عز وجل فقد يصح حينئذ، لأن باب الإخبار الذي صححه شيخ الإسلام ابن تيمية هو ما يخبر بمضمونه عنه من الأسماء لإثبات معنى يستحقه نفاه عنه ناف (درء التعارض ٤/ ١٤٠).

﴿الله﴾ : قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر: "هو مأخوذ من إله" ، قال ابن القيم: القول الصحيح - وهو ترجيح الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ - أن ﴿الله﴾ أصله الإله. كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا من شذ. من التأله وهو التعبد فهو مألوه أي معبود على وزن فعال مفعول فلما أدخلت عليه الألف واللام حذفت الهمزة تخفيفا.

﴿الرَّحْمَنُ﴾ اسم من أسماء الله أيضا ويتضمن كذلك صفة الرحمة وقيل بأن الرحمة في اسم الرحمن عاملة لكل المخلوقات، والرحمة في اسم الرحيم خاصة بعباد الله

المؤمنين.

﴿الرَّحِيمِ﴾ اسم من أسماء الله أيضا، ويتضمن كذلك صفة الرحمة، وقيل بأن الرحمة في اسم الرحمن عامة لكل المخلوقات، والرحمة في اسم الرحيم خاصة بعباد الله المؤمنين، وفي اختصاص رحمة الله في الآخرة بالمؤمنين قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١) فالكافر لا رحمة له في الآخرة.

ومذهب أهل الحق في أسماء الله وصفاته أنهم يثبتونها ويؤمنون بها كما جاءت في كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، ويؤمنون كذلك بما دلت عليه من المعاني وما تعلق بها من آثار، ففي اسم الله الرحمن يؤمنون بهذا الاسم ومعناه أنه سبحانه ذو رحمة ومن آثار هذا الاسم أنه يرحم من يشاء^(٢).

وأسماء الله الحسنی دليل على وجوده، فإن الاسم دليل على المسمى وعلم عليه. وأسماء الله الحسنی كل واحد

(١) سورة الأعراف ١٥٦.

(٢) بتصرف من (النهج الاسمى في شرح أسماء الله الحسنی) لمحمد بن

منها له ثلاث دلالات، فاسم الرحمن هنا دل على الرحمة والذات دلالة مطابقة هذا عند تفسير الاسم بجميع مدلوله، وعند تفسيره ببعض مدلوله كانت دلالاته هذه دلالة تضمن كدلالاته على رحمته بعباده المؤمنين كما في ﴿الرَّحِيمِ﴾، ويدل دلالة التزام متى أسند للنيابة على غيره من الاسماء^(١). فالرحمة لا توجد إلا بثبوت صفات أخرى كالحياء والعلم والقدرة ونحوها. فتأمل هذه الدلالات في عامة أسماء الله تعالى.

ودلائل رحمة الله بخلقه لا تعد ولا تحصى، منها أنه سبحانه فطرهم على وحدانيته، اضطرارا يجدونه في قلوبهم، ينير لهم بعض طريق العبودية، وأتم سبحانه هذه الرحمة برحمة أخرى وهي إرسال الرسل إلى الخلق، وأنزل معهم الكتب، ليتم الله باتباعهم نور من اهتدى ويحق القول على الكافرين. ومن دلائل رحمته جل وعلا أيضا أن يسر لعباده أمور دينهم، فالعبادات واضحة يكلف العبد منها ما يستطيع. ومن رحمته إنزال الغيث من السماء وتيسير أسباب المعيشة على هذه الأرض، ومنها حفظه سبحانه لنا من الشرور والأخطار ما نراه وما خفي عنا.

(١) بدائع الفوائد (١/١٦٢).

ومن تأمل دلائل رحمة الرحيم الرحمن حق التأمل
وتبصر فيها في نفسه ومن حوله، علم أن فضل الله عليه
كبير وعظيم يستوجب ذلك حمد الله وشكره، لذا ناسب أن
يأتي الإرشاد إلى ذلك بعد البسملة في قوله سبحانه:
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أَل الحمد للاستغراق، واللام في لفظ
الجلالة للاختصاص والمعنى: كل الثناء الجميل ومطلقه
إنما يستحقه الله وهو إخبار بمعنى الأمر أي احمدوني يا
عبادي، فالله الحمد.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ صفة للمحمود سبحانه، فهو إله كل عالم
وخالقه ومربيه بنعمه، والعالمين بفتح اللام جمع عالم وهو
كل ما سوى الله، كعالم الأحياء وعالم الموتى وعالم
الملائكة وعالم البر وعالم البحر.

قال العسكري في (الفروق اللغوية): "الحمد هو الثناء
باللسان على الجميل سواء تعلق بالفضائل كالعلم أم
بالفواضل كالبر، والشكر فعل ينبئ عن تعظيم المنعم لأجل
النعمة" اهـ. وقال أيضا: "فالحمد أعم مطلقا لأنه يعم
النعمة وغيرها، وأخص موردا إذ هو باللسان فقط، والشكر

بالعكس إذ متعلقه النعمة فقط ومورده اللسان وغيره،
فبينهما عموم وخصوص من وجه". قال: "وأما الفرق بين
الحمد والمدح فمن وجوه منها: أن المدح للحي ولغير
الحي والحمد للحي فقط، والزمخشري لم يفرق بينهما".
قال أبو بكر الأنباري في كتابه (الزاهر في معاني كلمات
الناس): "فالحمد أعم من الشكر ولذلك افتتح الله تبارك
وتعالى فاتحة الكتاب به فقال ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ﴾".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في درء التعارض (٥/٥
٣١٠-٣١٢): "وأفضل سورة: سورة أم القرآن، كما ثبت
ذلك في حديث أبي سعيد بن المعلى في الصحيح - يأتي
ذكر الحديث -، ثم قال: وفيها من ذكر المعاد" اهـ.
ويستغرب أن ابن العربي المالكي في أحكام القرآن قال:
"المسألة السابعة: فضل الفاتحة: ليس في أم القرآن
حديث يدل على فضلها إلا حديثان: أحدهما حديث
«قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين»^(١). الثاني حديث
أبي بن كعب (لأعلمنك سورة ما أنزل الله في التوراة

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة
الفاتحة في كل ركعة (٣٨-٣٩٥).

والإنجيل ولا في الفرقان مثلها)^(١) " اهـ. فإنه قد ثبت في فضلها أكثر من ذلك تصريحاً أو تلميحاً، منها ما جاء في مسلم من حديث ابن عباس ومنها حديث أبي سعيد الخدري عند البخاري. وجاء في كتاب (أسرار ترتيب القرآن) للسيوطي: "وافتح سبحانه كتابه بهذه السورة لأنها جمعت مقاصد القرآن، قال الحسن البصري: "إن الله أودع علوم المفصل في الفاتحة فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة" أخرجه البيهقي في شعب الإيمان.

ونقل عن الطيبي قوله: "هي مشتملة على أربعة أنواع من العلوم التي هي مناط الدين، أحدها علم الأصول، ومعاقده معرفة الله عز وجل وصفاته وإليها الإشارة بقوله ﴿... رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾، ومعرفة المعاد وهو ما دل بقوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ وثانيها: علم ما يحصل به الكمال وهو علم الأخلاق، وأجله الوصول إلى الحضرة الصمدانية، والالتجاء إلى جناب الفردانية والسلوك لطريق الاستقامة فيها، وإليه الإشارة بقوله: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا﴾

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٨٧٥).

الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ قال: وجميع القرآن تفصيل لما أجملته الفاتحة، فإنها بنيت على إجمال ما يحويه القرآن مفصلاً، فإنها واقعة في مطلع التنزيل، والبلاغة فيه أن تتضمن ما سيق الكلام لأجله. ولهذا لا ينبغي أن يقيد شيء من كلماتها ما أمكن الحمل على الإطلاق "اهـ. وقال البيضاوي: "هي مشتملة على الحكم النظرية والأحكام العملية التي هي سلوك الصراط المستقيم، والإطلاع على مراتب السعداء ومنازل الأشقياء". وقد ذكر الدكتور فاضل السامرائي أستاذ النحو في جامعة الشارقة في كتابه (لمسات بيانية في نصوص من التنزيل) عند كلامه عن الفاتحة فرقا يحسن تأمله بين الحمد والمدح خلاصته أن الحمد لا يكون إلا للحي العاقل، وأما المدح فقد تمدح جمادا ولكن لا تحمده، وذكر كذلك أن المدح أعم من الحمد، فالمدح قد يكون قبل الإحسان وبعده أم الحمد فلا يكون إلا بعد الإحسان، ولهذا ورد النهي عن المدح في بعض صورته لأنك قد تمدح إنسانا بما ليس فيه. بخلاف الحمد فإنه مأمور به كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من لم يحمد الناس لم يحمد الله»^(١)، فيؤخذ من

(١) ورد مرفوعا بلفظ (من لم يشكر الناس لم يشكر الله) رواه أحمد في المسند (٧٤٩٥) وأبو داود (٤٨١١) والترمذي (١٩٥٤).

قوله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أنه الحي سبحانه حياة كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه. ونقل عن لسان العرب "والحمد والشكر متقاربان".

وللشيخ العلامة المحدث عبد الرحمن المعلمي بحث قيم صغير الحجم عظيم الفائدة حول تفسير الرازي ذكر فيه فوائد يحسن ذكرها منها: ما نقله عن ابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١هـ في ترجمة الفخر الرازي في ذكر مؤلفاته، قال: "منها تفسير القرآن الكريم، جمع فيه كل غريب وغريبة وهو كبير جدا لكنه لم يكمله وشرح سورة الفاتحة في مجلد"، والذي تبين للمعلمي رَحِمَهُ اللهُ أن ما كان من تفسير الرازي هو ما يلي:

من أول الفاتحة إلى آخر تفسير سورة القصص، ثم من أول تفسير سورة الصافات إلى آخر تفسير سورة الأحقاف، ثم تفسير سور الحديد والمجادلة والحشر، ثم من أول تفسير سورة الملك إلى آخر الكتاب وما عدا ذلك فهو من تصنيف أحمد بن خليل الخولي.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ صفة للمحمود سبحانه فهو إلى كل عالم وخالقه ومربيه بنعمه، والعالمين بفتح اللام جمع عالم وهو كل ما سوى الله، كعالم الأحياء وعالم الموتى وعالم

الملائكة وعالم البر وعالم البحر. قال ابن تيمية في الفتاوى (ج ١٤ / ص ١٣): "الرب هو المربي الخالق الرازق الناصر الهادي".

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ سبق بيانهما وكررهما سبحانه لبيان مزيد رحمته، وفي الإتيان بهما بعد قوله سبحانه: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فائدة عظيمة وهي أن رحمته جل وعلا إنما يستحقها من زاد فحمد الله في قلبه فأخلص في توحيد الله فلم يشرك في توحيد القلب مع الله أحدا، ففي الخوف لا يخاف خوف العبادة إلا من الله، وفي الحب لا يحب أحدا حب العبادة إلا الله، ولا يرج إلا الله، ولا يتوكل إلا على الله وهكذا في كل أعمال القلوب. وحمد الله كذلك بجوارحه فاستجاب لأوامر ربه وانتهى عما نهاه عنه، فصلى وزكى وصام وحج وذبح وعمل الصالحات لله، وامتنع عن الشرك والزنا والربا والكذب وسائر المنهيات يتركها لله. فهذا الحامد الجامع لهذه المحامد هو المستحق لرحمة الله ورضوانه وسكنى جنانه، ومن انتقص نفسه من توحيد الله وعبادته انتقص من رحمة الله بقدر ذلك. كما أن في دعاء العبد ربه بهذين الاسمين لطيفة، وهي استعطاف الله واسترحامه فكأن العبد يقول: يا رب سميت نفسك

الرحمن الرحيم فجد علي برحمتك، وهيهات أن يرد سبحانه عبده المستعطف المسترحم وهو أرحم بعباده من أمهاتهم بهم. قال ابن جرير (١/٤٣): " الرحمة هي الرقة والعطف، والاسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، ورحمن أشد مبالغة من رحيم، لأن بناء فعلان أشد مبالغة من فعيل ونظير ذلك ظميء وظمآن ونديم وندمان" اهـ. وهل ﴿الرَّحْمَنُ﴾ عربي اللفظ؟ الأكثر على ذلك، وقد ورد ذكر الرحمن في القرآن سبعا وخمسين مرة، وأما اسم الرحيم فقد ورد مائة وأحد عشر مرة، وفي الفرق بين هذين الاسمين أقوال أشهرها اثنان:

١- أن اسم الرحمن هو ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا وللمؤمنين في الآخرة، والرحيم: هو ذو الرحمة للمؤمنين يوم القيامة واستدلوا بقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، فذكر الإستواء باسمه (الرحمن) ليعم جميع خلقه برحمته وقال: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ فخص المؤمنين باسمه (الرحيم)، ولكن يُشكِلُ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

٢- هو أن الرحمن دال على صفة ذاتية والرحيم دال على

صفة فعلية، كما قال ابن القيم في بدائع الفوائد:

"إن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف والثاني للفعل، فالأول دال على أن الرحمة صفة والثاني دال على أن يرحم خلقه برحمته، وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ وقوله: ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ولم يجرى قط "رحمن بهم"، فعلم أن الرحمن هو الموصوف بالرحمة ورحيم هو الراحم برحمته"، ثم قال: "وهذه نكتة لا تكاد تجدها في كتاب وإن تنفست عندها مرآة قلبك لم ينجل لك صورتها" اهـ.

وكانت العرب تعرف هذا الاسم ﴿الرَّحْمَنُ﴾ وتجده كما قال تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان: ٦٠] هذا في جحودهم لهذا الاسم، وعن إقرارهم به يقول الله عنهم: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾، ومن أشعارهم قول سلامة بن جندب الطهوي:

عجلتم علينا إذ عجلنا عليكم

وما يشأ الرحمن يعقد ويطلق

ومن أحكام هذا الاسم - أعني الرحمن - أنه لا يجوز

أن يصرف للخلق فيتسمون أو يوصفون به، لأن الله عز وجل قد عادل به الاسم الذي لا يشركه فيه غيره وهو (الله) في قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠] وروى ابن أبي حاتم بإسناده عن الحسن قال: "الرحمن اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه تسمى به تبارك وتعالى" ^(١)، بخلاف الرحيم فإن الله قد وصف به نبيه وبعض عباده به كما في قوله تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، فيقال رجل رحيم ولا يقال رجل رحمن.

قال ابن كثير: "والحاصل أن من أسماء تعالى ما يسمى به غيره ومنها ما لا يسمى به غيره كاسم الله والرحمن والخالق والرازق ونحو ذلك، فلهذا بدأ باسم الله ووصفه بالرحمن لأنه أخص وأعرف من الرحيم، لأن التسمية أولاً إنما تكون بأشرف الأسماء فلهذا ابتداء بالأخص" اهـ.

واعلم أن الرحمة من الله على وجوه:

الوجه الأول: رحمة من الله شاملة لكل خلقه والأصل

(١) تفسير ابن كثير (١/١٢٧) وتفسير ابن أبي حاتم (٢٢).

أنه يستحقها كل الخلق بمحض الخلقة، إلا أن يصدر من العبد ما ينفي به هذه الرحمة عن نفسه ككفر الإباء والاستكبار من نوع ما حصل من إبليس لما أمره ربه بالسجود لآدم فأبى واستكبر فأبعده الله من رحمته.

الوجه الثاني: رحمة خاصة زائدة عن الرحمة العامة السابقة وهي رحمة الله بمن أطاع أوامره واجتنب نواهيه، فكان عبدا لله بأصل الخلقة وبالإيمان بربه.

الوجه الثالث: رحمة من الله على وجه المقابلة في ذات من يرحم خلق الله كما في الحديث المسلسل بالأولية عنه بِسْمِ اللَّهِ أنه قال: "ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء" ^(١) وفي رواية "الرحماء يرحمهم الرحمن"، وهذه تحصل للمؤمن والكافر الذي يرحم خلق الله بخلاف الثانية فهي للمؤمنين فقط.

الوجه الرابع: رحمة من الله على سبيل المجازاة فيمن يحبه الراحم أن يرحمه ربه لأجله، كرحمة الله بولد الوالدين الصالحين اللذين ذكرا في سورة الكهف فيحفظهم الله ويرحمهم لصلاح والديهم أو يرفع قدرهم في الجنة إلى

(١) رواه الترمذي في سننه (١٩٢٤) وقال الألباني صحيح.

منزلة والديهم كما في سورة الطور.

ولا بد من الرجوع إلى ما حرره سيف الإسلام ابن القيم رحمته الله في رده على المبتدعة من الجهمية وأتباعهم الزاعمين بأن رحمة الله مجاز عبارة عن إنعام الله على عباده أو إرادة ذلك في كتابه (الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة) ويكفي أن نقول أننا لسنا أغير على الله من رسوله صلى الله عليه وسلم. ونورد من مختصر الصواعق (٢/١٢١) شيئاً بديعاً من كلام ابن القيم رحمته الله وذكر بعض دلائلها حيث يقول رحمته الله:

" وأوسع المخلوقات عرشه، وأوسع الصفات رحمته، فاستوى على عرشه الذي وسع المخلوقات بصفة رحمته التي وسعت كل شيء، ولما استوى على عرشه بهذا الاسم الذي اشتقه من صفته وتسمى به دون خلقه كتب بمقتضاه على نفسه يوم استوائه على عرشه حين قضى الخلق كتاباً فهو عنده، وضعه على عرشه «إن رحمته سبقت غضبه» وكان هذا الكتاب العظيم الشأن كالعهد منه سبحانه للخليقة كلها بالرحمة لهم والعفو والصفح عنهم، والمغفرة والتجاوز والستر، والإمهال والحلم والأناة، فكان قيام العالم العلوي والسفلي بمضمون هذا الكتاب، الذي لولاه

لكان للخلق شأن آخر، وكان عن صفة الرحمة الجنة وسكانها وأعمالهم، وبرحمته احتجب عن خلقه بالنور ولو كشف ذلك الحجاب لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، ومن رحمته أنه يُعيد من سُخطه برضاه، ومن عقوبته بعفوه ومن نفسه بنفسه. ومن رحمته أنه خلق مائة رحمة، كل رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض "اهـ.

ومن رحمته سبحانه أن فتح أبوابه للتائبين: ﴿قُلْ يٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥٣﴾ [الزُّمَر: ٥٣]. وقد يسأل سائل: ما معنى أن الله رحمن رحيم وأرحم الراحمين والدنيا طافحة بالشرور والآفات والبلايا؟!!

فيقال له: كما أن الله رحمن رحيم في حق بعض الخلق فهو جبار منتقم في حق آخرين، وأما المسلم الصالح المبتلى فإن غاية بلاءه إن زاد هو الموت، وهو رحمة له؛ لأن ما بعده جنة عرضها السماء والأرض ونعيم مقيم لا يزول، والكافر مهما بلغ سروره في الدنيا، فإنه منغص بالموت وهو شرُّ له لأن ما بعده هو شر منه، حيث مآله ناراً تلظى خالدا مخلدا فيها. ومن تأمل ذلك قرَّت عينه

بكل بلاء يصيبه، ما دام على طاعة ربه مقيماً وجعل بينه وبين محارم الله حريماً، بل جاءه سرور يشعر بحلاوته وهو في ظلمات وبلايا وغصص ورزايا رحمة من ربه، إنه كان به رحيماً.

وكأنَّ يرَاعِي (قلمي) في ختام هذا الكلام عن الرحمة وقد دق عوده وتقطع مداده قد هزه ما سطر عن ربه الرحمن الرحيم، وكأنني ببديني ولحمي ودمي قد اضطرب واشتاق لخالقه مما نقلته عيناه له عن رحمة أرحم الراحمين، والله يتولانا برحمته.

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ صفة لربنا المحمود سبحانه، والمعنى أن الله جل وعلا هو من بيده أمر يوم القيامة، فلا يعلم أحد ميعاد ذلك اليوم إلا الله، وهو العالم بحقيقته وهو الذي قدر ما يحصل فيه من شدائد وأهوال وكرامات للمؤمنين وخزايا للمنافقين والكافرين.

ويوم الدين هو يوم الجزاء والحساب. قال البخاري في صحيحه: "الدين: الجزاء في الخير والشر، كما تدين تدان"^(١). وهو يوم القيامة - أخرج ابن جرير وغيره من

(١) كتاب: التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب.

طريق الضحاك عن ابن عباس^(١) - وهو يوم الفزع الأكبر، حيث تنصب الموازين العادلة في ذلك اليوم العظيم، فتوزن الحسنات والسيئات وأصحابها في ميزان حقيقي له كفتان، فمن ثقلت موازينه فهو من الفائزين، ومن خفت موازينه فهو من الخاسرين.

وفي الآية إرشاد إلى وجوب الإيمان بهذا اليوم والاستعداد له بالتزود من الأعمال الصالحة. يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله في تفسيره للفتحة: " ذُكِرَ في أول هذه السورة التي هي أول المصحف الألوهية والربوبية والملك، كما ذكر في آخر سورة في المصحف سورة الناس، فهذه ثلاثة أوصاف لربنا تبارك وتعالى ذكرها مجموعة في موضع واحد في آخر ما يطرق سمعك من القرآن، فينبغي لمن نصح نفسه أن يعتني بهذا الموضع ويبدل جهده في البحث عنه ويعلم أن العليم الخبير لم يجمع بينهما في أول القرآن وآخره إلا لما يعلم من شدة حاجة العباد إلى معرفتها ومعرفة الفرق بين هذه الصفات " اهـ.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٤٩٤) (١٠/٤٥٢)، وابن كثير في تفسيره (١/١٣٤).

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي لا نعبد ولا نوحده ولا نرجو إلا أنت يا ربنا، وفي تقديم ﴿إِيَّاكَ﴾ فائدة اختصاص العبادة به سبحانه، فليس أحد يستحق العبادة إلا الله، والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فلا يجوز صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله.

﴿وَأِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي لا نطلب العون ولا المساعدة إلا منك يا ربنا. وحال أولياء الله في باب الاستعانة أكمل الأحوال، فإنهم لا يطلبون شيئاً من أمور الدنيا والآخرة إلا من الله، وهذا مقام عال قل ساكنوه، بايع عليه أصحاب النبي نبيهم ﷺ، فكان أحدهم لو سقط سوطه وهو مستو على راحلته لم يسأل أحداً أن يناوله إيّاه، بل ينزل عنها ويأخذه، فكمّل سؤددهم في أحوال دينهم ودنياهم.

وأين حال بعض الجهلة المنتسبين للإسلام من حال سلف الأمة الصالح في هذا الباب العظيم، فقد ضجت المزارات والقبور والأضرحة بالمستعنين والمستغيثين بغير الله، ولو صرفوا ذلك لله لكانوا أنعم الناس بالآل وأحسنهم حالاً، وكل هذا الحاصل عند هذه الأمكنة شرك بالله

صراح، فما يملك الحي فضلا عن الميت من أمره من شيء، كما قال الله عز وجل عن رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّي لَأَ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ (٢١) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ (٢٢)، وقال سبحانه عن أكرم الخلق عليه ﴿إِنَّكَ﴾ أي يا محمد ﴿لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾. وقال سبحانه عن رسوله أيضا ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وقال أيضا ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾. هذا حال رسول الله ﷺ فكيف بمن دونه، بل بعض هذه الأضرحة مبنية على حمير وكفرة، والله لكأن القوم لم يقرؤا القرآن ولم تمر عليهم هذه الآيات، فيا خيبة من استعان بالموتى والقبور والأشجار والأحجار وترك الاستعانة بالله القادر القوي القهار.

وأیضا في تقديم ﴿إِيَّاكَ﴾ فائدة اختصاص طلب العون من الله، وفي هذا تفصيل، فإن الاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه جائزة، كمن يستعين بالسلطان في رد ظلم وقع عليه، وإما أن يطلب العون فيما لا يقدر عليه إلا الله كإحياء الموتى وإنزال الغيث والرزق بالولد وشفاء المرضى ودفع عموم الضر الذي لا يقدر على دفعه إلا الله، أو

طلب جلب النفع الذي لا يقدر على جلبه إلا الله يطلب ذلك ومثله من الخلق فذلك هو الشرك الذي لا يغفره الله. وقد روى الطبراني في الأوسط عن أبي بن كعب قال: قرأ رسول الله ﷺ فاتحة الكتاب ثم قال: «قال ربكم: ابن آدم، أنزلت عليك سبع آيات، ثلاث لي وثلاث لك وواحدة بيني وبينك...، إلى أن قال سبحانه: والتي بيني وبينك ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ منك العبادة وعلي العون لك»^(١)، فهذه الآية عهد بين الموحدين وربهم فمن عبد الله كما شرع أعانه كما وعد.

وفي الإتيان بالإستعانة بعد العبادة لطيفة، وهي أن العبد يعبد ربه ويحتاج في ذلك إلى عونه سبحانه، فأرشد إلى طلب العون من الله على عبادته كما يطلب العون منه سبحانه على حاجته. ومن دعائه ﷺ: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»^(٢).

وفي أفراد الاستعانة بالذكر بعد العبادة رغم كونها منها فائدة، وهي الاهتمام بها ولفت الانتباه إليها من باب ذكر

(١) رواه الطبراني في معجمه (٢٧٩/٦).

(٢) رواه أبو داود في سننه من حديث معاذ (٣١٨/٤) والنسائي في الكبرى (٣٢/٦) وأحمد في سننه (٤٢٩/٣٦).

الخاص بعد العام، إذ أنّ في الاستعانة أبواب خفية قد تولج العبد إلى ما فيه نقصان توحيده وثلمه دون أن يشعر، أما ما كان منها منافيا للتوحيد فهو ظاهر غير خفي كما تقدم ذكر ذلك، ويهدي لمعرفة هذا من بَصْرَه الله بحقيقة توحيده، فمن تلك الأبواب الخفية ما سبق ذكره من بيان حال الصحابة رضوان الله تعالى عنهم، فتأمل ذلك يا رعاك الله.

يقول ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين: "والاستعانة تجمع أصليين، الثقة بالله والاعتماد عليه، فإن العبد قد يثق بالواحد من الناس ولا يعتمد عليه في أموره مع ثقته به لاستغنائه عنه، وقد يعتمد عليه مع عدم ثقته به لحاجته إليه، ولعدم من يقوم مقامه، فيحتاج إلى اعتماده عليه مع أنه غير واثق به، والتوكل معنى يلتزم من أصليين: من الثقة والاعتماد وهو حقيقة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾... ثم قال: "وتقديم العبادة على الاستعانة في الفاتحة من باب تقديم الغايات على الوسائل، إذ العبادة غاية العباد التي خلقوا لها والاستعانة وسيلة إليها."

"ولأن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ متعلق بألوهيته واسمه الله و﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ متعلق بربوبيته واسمه الرب، فقدّم

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على ﴿وَأِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ كما قدم اسم
(الله) على (الرب) في أول السورة .

وذكر أوجها أخرى في بعضها ضعف، ثم قال ﷺ :

"والناس في هذين الأصلين - يعني العبادة والاستعانة -
أربعة أقسام أجلها وأفضلها : أهل العبادة والاستعانة بالله
عليها، فعبادة الله غاية مرادهم، وطلبهم منه أن يعينهم
عليها ويوفقهم للقيام بها. ولهذا كان من أفضل ما يسأل
الرب تبارك وتعالى الإعانة على مرضاته، وهو الذي علمه
النبي ﷺ لِحِبِّهِ معاذ بن جبل رضي الله عنه فقال: «يا معاذ، والله
إني لأحبك فلا تنسى أن تقول دبر كل صلاة: اللهم أعني
على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»^(١). وقال شيخ الإسلام
ابن تيمية قدس الله روحه: تأملت أنفع الدعاء فإذا هو
سؤال الله العون على مرضاته، ثم رأيت في الفاتحة في
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَأِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ " اهـ.

وهذا الدعاء يقال قبل السلام وهو ترجيح الشيخ ابن
باز رحمته الله، فإن دبر الشيء منه ودبر الصلاة آخرها.

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ بعد أن ذكر سبحانه

(١) سبق تخريجه.

المحامد السابقة من ثناء العباد عليه بأسمائه وصفاته ثم اتبعها بالتذلل وبيان منتهى الخضوع بعبادته جل وعلا، شرع سبحانه لعباده أن يدعو بهذا الدعاء العظيم. وفي هذا الترتيب إرشاد إلى أدب المسلم في الدعاء، حيث يستحب لكماله أن يبدأ الداعي بحمد الله والثناء عليه^(١) ثم يذكر عجزه وعبوديته لربه ويتضمن ذلك ما جاء الإرشاد إليه في السنة من استغفار الله والصلاة على نبيه ﷺ ثم يشرع في الدعاء.

ومعنى الآية :

أي وفقنا يا ربنا وأرشدنا إلى الطريق الحق القويم الذي إن سرنا فيه عممتنا رحمتك وشملنا رضوانك فدخلنا جنتك ونجونا من غضبك ونارك.

ثم بين سبحانه علامة هذا الطريق القويم بقوله :

(١) روى أبو داود والترمذي في سنتهما من حديث فضالة بن عبيد صاحب رسول الله ﷺ قال: سمع رسول الله ﷺ رجلا يدعو في صلاته لم يمجد الله تعالى ولم يصل على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ عجل هذا ثم دعاه فقال له أو لغيره إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه جل وعز والثناء عليه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يدعو بعد بما شاء.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ الذين أنعم الله عليهم هو من جاء ذكرهم في آية سورة النساء، والمعنى : أي وفقنا يا ربنا وأرشدنا إلى الطريق القويم الذي سار عليه من أنعمت عليه بالهداية إلى توحيدك وعبادتك من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

ولما كان من يدعي الاهتداء للحق من الخلق كثير، بين سبحانه أنه ليس من هؤلاء الذين أنعم عليهم بالهداية وثبتوا عليها إلا طائفتان :

الأولى : من ذكرهم سبحانه بقوله : ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وهم من جاءهم العلم والحق من الله على السنة رسله عليهم السلام وتبين لهم مساخط الله من مراضيه، وعرفوا الحق من الباطل، ثم تنكبوا ذلك الهدى عمدا وقصدا وزوروا الحق وزادوا بالجهر بعناد أوامر ربهم والصد عن سبيله وقتل أوليائه وفوق ذلك يرون أنهم أحسن الخلق وأكرمهم على الله كاليهود، الطائفة الملعونة التي صرح الله بغضبه عليها ولعنه إياها وكذا من شاكلها في غير ما آية من كتابة الكريم كما في قوله تعالى : ﴿كَمُنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران : ١٦٢].

كما أن في قوله : ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ تضمين

التحذير من سلوك طريقته، كما تحتل الآية معنى الدعاء، أي جنبنا يا ربنا طريق من غضبت عليه.

﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ وهي الطائفة الثانية التي تزعم الهداية وهي أبعد ما تكون عنها، وحقيقة الضلال الضياع والتهيه عن المقصد، والضلال في الدين هو وروده ومعرفة معالمه ثم الزيادة عليه أو النقص منه، وكل ذلك رد له، كما في حال النصارى الذين عرفوا حدود الدين الذي شرع الله فزادوا فيه وأنقصوا منه، زيادة كفر ونقص توحيد، فقد زادوا فيمن يعبدون فجعلوا مع الله آلهة أخرى وهو عيسى وروح القدس وقالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ كما حكا الله حالهم في كتابه، وانقصوا في التوحيد حتى نقضوه، وأباحوا لأنفسهم الخمر والخنزير، في ضلال بلغ منتهاه كحال اليهود وشملتهم اللعنة كما شملت يهود.

وفي الآية كذلك تضمين التحذير من سلوك سبيلهم كما تحتل معنى الدعاء، أي جنبنا يا ربنا طريق من ضل عن الهدى بعد إذ جاءه، وفيها أيضاً تضمين سؤال الله الثبات على دينه من عموم المضلات.

يقول ابن تيمية في الفتاوى (ج ١٣ ص ١٠٠) بعد أن

ذكر أن المعتزلة أقرب لليهود والصوفية أقرب للنصارى
 علل ذلك بقوله : " فإن النصارى عندهم عبادة وزهد
 وأخلاق بلا معرفة ولا بصيرة فهم ضالون، واليهود عندهم
 علم ونظر بلا مقصد صالح ولا عبادة ولا زهد ولا أخلاق
 كريمة فهو مغضوب عليهم والنصارى ضالون " اهـ، ثم
 نقل عن أبي محمد بن عبد الرحمن بن أبي حاتم قوله :
 " ولا أعلم في هذا الحرف اختلافا بين المفسرين " ، وروى
 بإسناده عن أبي روق عن ابن عباس وغيره :

" طريق الضالين وهم النصارى الذين أضلهم الله بفريتهم
 عليه " . وجاء في كتاب (مفحمت الأقران في مبهمات
 القرآن) للسيوطي ما يلي :

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ هو يوم القيامة، أخرجه ابن
 جرير وغيره من طريق الضحاك عن ابن عباس . ﴿صِرَاطَ
 الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ : هم النبيون والصديقون والشهداء
 والصالحون، كما فسرتها آية النساء.

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ الأول اليهود،
 والثاني النصارى، كما أخرجه أحمد وابن حبان والترمذي
 من حديث عدي بن حاتم قال : قال رسول الله ﷺ : إن

المغضوب عليهم هم اليهود، وإن الضالين هم النصارى^(١).
وأخرجه ابن مردويه من حديث أبي ذر. قال ابن أبي
حاتم: ولا أعلم فيه خلافاً بين المفسرين.

ومن تأمل أصل كل شر دخل على المسلمين وجده
يقدم من اقتفاء أثر هاتين الطائفتين المخذولتين الملعونتين،
من تقليدهم وإتباعهم، فأعقب ذلك ذلاً في الأمة لا يرتفع
حتى ترجع إلى كتاب ربها جل وعلا وسنة رسولها ﷺ بما
فيهما من غاية التحذير وأبلغ النذير من سلوك طريقتهما
والخضوع لهن، والله المستعان.

وانتهى تفسير السورة بحمد الله ويليه ذكر مسائلها
الإحدى والأربعين..

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٧٨/٤) والترمذي وحسنه في باب
فاتحة الكتاب (٢٩٥٧).

مسائل السورة

المسألة الأولى:

أن اسم (الله) هو الاسم الأعظم وهو الأعلّم سبحانه بنفسه حيث جاء ذلك في بعض الآثار ولورود هذا الاسم في أول أعظم سورة من كتابه الكريم وحيث تنتسب له جميع أسماءه سبحانه الحسنی، وفائدة معرفة اسم الله الأعظم هو نيل فضل الدعاء به من عدم رد دعوته وما جاء في فضل ذلك من آثار. من ذلك ما أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما^(١) من حديث عبد الله بن بريده عن أبيه أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. فقال: لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب وفي رواية أخرجه الترمذي (فقال: والذي نفسي بيده لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به

(١) رواه أبو داود (١٤٩٥) وقال الألباني: صحيح، والنسائي (٧٦٦٦) وأخرجه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

أعطى^(١). وقد رجح أن الله هو الاسم الأعظم الطحاوي في مشكل الآثار وابن القيم في مدارج السالكين والرازي في شرح أسماء الحسنى.



المسألة الثانية :

أن قول بسم الله الرحمن الرحيم يشرع عند البدء بكل عمل صالح من أعمال الدنيا والآخرة استحباباً وذلك اقتداء بكتاب الله حيث بدئت هذه السورة بهذا الذكر ولما ورد من أحاديث في هذا الباب منها ما روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أي عمل لا يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر»^(٢) أي مقطوع البركة، وفي الحديث: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع» أي ناقص. رواه الخطيب وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعاً وأصله في سنن أبي داود وابن ماجه والنسائي في عمل اليوم والليلة على أن البسملة تجب في مواضع منها: عند الوضوء وعند الذبح وعند قراءة الفاتحة في تفصيل يأتي بيانه في المسألة الثلاثين.

(١) رواه أبو داود في سننه (٢٩٠/٤) والترمذي في سننه (٥١٥/٥).

(٢) أخرجه الرهاوي في الأربعين وأنظر إرواء الغليل (٣٠/١).

المسألة الثالثة:

أن الله أرحم الراحمين، شملت رحمته كل خلقه إلا من أبى، ولا يستحق رحمته الخاصة إلا المؤمنون، وأما الرحمة العامة فهي للخلق كلهم بقدر إصلاحهم في الأرض.



المسألة الرابعة:

أن دلائل رحمة الله في خلقه وآلائه لا تعد ولا تحصى، ومن تفكر فيها حق التفكير مبتدئاً في ذلك بنفسه لم يسعه إلا أن يسجد لربه مسبحاً بحمده وقدره وذاته العلية.



المسألة الخامسة:

أن أعظم دلائل رحمة الله الهداية والتوفيق لدين محمد ﷺ، فمن نالته هذه الرحمة فهنيئاً له كل هناء، ومن تنكب طريق الإسلام فهو في شقاء لا يدانيه كل شقاء سواه.



المسألة السادسة:

أن توحيد الله أعظم موجب لرحمته سبحانه، ومن ناله

من الهم والأذى شيء فليفرع إلى التوسل إلى الله بالتوحيد، فهو أعظم ما يتقرب إلى الله به، ولنا في أنبياء الله على نبينا وعليهم السلام أسوة حسنة، ومنهم نبي الله يونس لما التقمه الحوت فأمسى في هم وظلمات متراكبات ﴿فَكَادَى فِي الظُّلْمَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٧) [الأنبياء: ٨٧] فقال له ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذَلِكَ نُجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٨) [الأنبياء: ٨٨].



المسألة السابعة:

أن المعاصي وأعظمها الكفر بالله تنقص من نصيب العبد من رحمة ربه حتى لا يبقى للعبد منها شيء وذلك بكفره عند لقاء ربه.



المسألة الثامنة:

أن أشد يوم يأتي على العباد هو يوم القيامة، والتي لا يعلم أيان مرساها إلا الله، وفيه يكرم الله أهل طاعته ويخزي أهل معصيته، والواجب على العباد أن يستعدوا للقاء ربهم بالأعمال الصالحة.



المسألة التاسعة:

إن الشرك الذي في أذهان عامة المسلمين مقتصر على عبادة الأوثان، وهذا ليس بتعريف للشرك بل صورة من صورته، والشرك لا يغفره الله: هو أن تجعل لله ندا وشريكا في ذاته أو في أسمائه وصفاته أو في عبادته أو في ذلك كله، والواجب على علماء المسلمين بيان معنى التوحيد ومعنى الشرك لكل أحد حتى يسلم للعباد توحيدهم.



المسألة العاشرة:

أن العبادة على ما سبق في بيان معناها لا يصح صرفها لغير الله قل مقدار المصروف أو كثر، وأن من صرف شيئا منها لغير الله فهو كافر مشرك.



المسألة الحادية عشرة:

بيان حال بعض المنتسبين للإسلام في صرفهم بعض أنواع العبادة لغير الله كالدعاء والاستعانة والاستغاثة والطواف والذبح والحلف، وأن ذلك منهم كفر بالله العظيم وإشراك به.

المسألة الثانية عشرة:

أن العبد لا يستغنى طرفة عين عن عون الله له، حتى في شأن عبادته لربه، فالواجب أن يتفكر العبد في ضعفه وشدة حاجته لسيدته ومولاه في كل أحواله، وأن تيسير الطاعة له من منة الله عليه التي هي من رحمته كما سلف.

**المسألة الثالثة عشر:**

أن الأصل في كل الخلق الضلال، فوجب حينئذ سؤال الله الهداية.

**المسألة الرابعة عشر:**

إن للدعاء شأنًا عند الله عظيم، وهو حبل اتصال العبد بربه، فمن صرف هذه العبادة لغير مستحقها وهو الله أو هجرها فقد قطع حبل النجاة منه.

**المسألة الخامسة عشر:**

أن للدعاء آداباً يحسن بالعبد تعلمها، ومنها: التطهر ظاهراً وباطناً عن كل محرم ورجس، ومن نجاسة البدن

سواءً من الصغرى أو الكبرى، والتصديق ولو باليسير، والإقبال بكلية القلب على هذه العبادة، وإظهار التذلل والانكسار مع البكاء من خشية الله والحاجة إليه، واستقبال القبلة، وتحري أوقات الإجابة سيما عند السجود ووقت السحر وعند الاضطرار، وتيقن إجابة الله له، والثناء على الله بما أثنى به على نفسه أو أثنى بها عليه أعلم الخلق به وهو نبينا ﷺ^(١) ويتثنى بالصلاة على نبيه ﷺ ويثالث بالاستغفار ومتخيراً ما ورد من أدعية في الكتاب هيئات أن يرده الله على صاحبه.



المسألة السادسة عشرة:

أن صراط الله المستقيم هو الاهتداء لمرضاته كما يريد هو سبحانه، لا مما يخترعه العباد ويبتدعونه ثم يزعمون أنه من أمر الله، وأن معرفة هذا الصراط لا سبيل له إلا بالعلم

(١) روى أبو داود والترمذي في سننهما من حديث فضالة بن عبيد صاحب رسول الله ﷺ قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته لم يمجد الله تعالى ولم يصل على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ عجل هذا ثم دعاه فقال له أو لغيره إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه جل وعز والثناء عليه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يدعو بعد بما شاء.

الذي ورثه النبي ﷺ لمن أراد الله به خيراً من أمته.



المسألة السابعة عشرة:

أن الهداية للحق توفيق من الله لمن شاء هدايته من خلقه، وأنها بيد الله لا تسأل إلا منه، وأن المشروع تكرار سؤال الله الهداية مع سؤاله الثبات عليها، فليس الشأن في أن العبد يكون من المهتدين، فكم من المهتدين من ضل ضلالاً هو شر من ضلاله قبل الهداية وهو من أضله الله على علم، فإن الذي يذيقه الله حلاوة الهداية وبرد ريحها ثم يتنكب ذلك يعتبر ممن كفر نعمة الله عليه، فيجازي مثل هذا بالختم على قلبه وتزيين الباطل له حتى يتمادى ولا يرى الحق إلا ما صار إليه، كما قال تعالى في وصف حال هؤلاء: ﴿أَفْرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَّمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٢٣) (١)، وحينها لا تسل عن بهرجة ما يكتبونه من باطل وينشرونه من ضلال لتعظم بمثل هؤلاء الفتنة على من لم يوفق للثبات على الهدى، نسأل الله العصمة من الأهواء وأهلها.

(١) الجاثية: ٢٣.

المسألة الثامنة عشرة:

أن الدعاء من أعظم أسباب الثبات على الحق التي بينها ربنا جل وعلا، فيدعو العبد أن يهديه الله ويدعوه بالثبات على هذا الهدى، والله لا يضل أحدا هداه حتى يبين له كيف يتقي من الضلالة لتقطع الحجة من المهتدين الذين ضلوا على ربهم كما قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾^(١)، ولذا وجب على العبد المهتدي من الكفر إلى الإسلام ومن المعصية إلى الطاعة أن يسأل أهل العلم أول ما يسأل عن هذه الأسباب التي بين الله أنها تقي من الضلالة بعد الهدى، وليتجنب سؤال وإتباع من يحرص على هدي الخلق بلا علم، وليعلم أنه متى فرط في تحصيل هذه الأسباب كان أقرب ما يكون إلى شرك الشيطان وحباله التي يمدّها على درب كل مهتدي، فإن ضل بعدم تحصيلها والأخذ بها بقوة فلا يلومن إلا نفسه ولا يظلم ربك أحداً.



المسألة التاسعة عشرة:

أن من يدعي الاهتداء للحق من الخلق الضالين كثير

(١) سورة التوبة: ١١٥.

كفرعون الذي حكا الله قوله في كتابه العزيز حيث قال لقومه: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾^(١)، وكقول أهل الكتاب لبعضهم ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾^(٢) بل كل ملة تزعم أنها مهتدية كما في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾^(٣) أي يضلل بعضهم بعضاً، ولكن الحق هو ما بين الله كما قال سبحانه في تمام الآية السابقة ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾، فلا ينبغي للعاقل أن يغتر بمن يزعم أنه على الحق والهدى فيتبعه حتى يعرض مقالته وعمله على هدى الله الذي جاء به نبينا ﷺ، فكان على المهتدي واجب معرفة الصوارف عن الحق والهدى كما يجب عليه معرفة المثبتات عليه، وذلك بسؤال أهل العلم.



المسألة المتممة للحشرين:

أن من الصوارف عن الهدى والحق قوة أهل الضلال

(١) سورة غافر: ٢٩.

(٢) سورة البقرة: ١١٣.

(٣) سورة البقرة: ١١٨.

العسكرية والمالية وكثرتهم كما في حال فرعون وأهل الكتاب، والله عز وجل أرشد إلى خطورة هذه الصوارف عن الحق في قوله عن فرعون ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾^(١) فكانت نتيجة هذا الصارف ما قال الله: ﴿فَأَسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، فَاطَاعُوهُ﴾^(٢) وكما في قوله جل شأنه: ﴿وَإِن تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٢) وهذا في الكثرة، ولهذا كان سلفنا الصالح يهدفون من جهادهم للكفار إزالة هذا العائق الذي يحجب الخير والهدى أن يصل للخلق، فإنهم كانوا يقاتلون دول الكفر دون شعوبها بغية تحرير رق الفكر الذي تفرضه عامة دول الكفر على شعوبها والله المستعان.



المسألة الحادية والعشرون :

أن أخط طائفتين ممن خلق الله هما اليهود والنصارى، حيث حذر منهما سبحانه في أعظم سورة من كتابه ولما كانت لهاتين الطائفتين طرقا خبيثة في الصد عن سبيل الله

(١) سورة الزخرف: ٥١.

(٢) سورة الأنعام: ١١٦.

وإضلال الخلق عن إتباع الهدى الذي جاء به نبينا محمد ﷺ كما حكا الله شيئاً من طرقهم في ذلك حيث قال سبحانه في شأن يهود: ﴿وَقَالَتْ طَافِيَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهُ النَّهَارِ وَكَفَرُوا ءَاخِرُهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٧٢) (١)، في مكيدة خبيثة تعمل بها عامة طوائف الضلال اليوم، كان لزاماً على العلماء بيان حال اليهود والنصارى التي بين الله في كتابه وما بينه رسوله ﷺ في سنته، وما استجد من مكائدهم في صد الخلق وإغوائهم عن الحق مما طفق به زماننا والله المستعان.



المسألة الثانية والحشروء :

يتلخص من المسائل السابقة الأخيرة وجوب العلم على المهتدي للحق بثلاثة أمور: أولاً من معرفة أسباب الثبات على الهدى، وثانيها معرفة أسباب الارتداد عن الهدى، وثالثها معرفة مكائد أهل الضلال القديمة والمعاصرة في نشر باطلهم وتزيينه على المهتدين، ونزيد رابعة فنقول: معرفة الحق بدليله على وجه العموم.



(١) سورة آل عمران: ٧٢.

المسألة الثالثة والحشروء :

أن الفاتحة هي أعظم سورة نزلت في كتب الله كلها وبشرت الملائكة بها نبينا الخاتم صلى الله عليه وسلم كما جاء في صحيح مسلم عن ابن عباس قال : «بينما جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه فقال : هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك فقال : هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم. أي الملك النازل. وقال : أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منها إلا أعطيته»^(١).

وفي فضلها ما جاء في الصحيح من حديث أبي سعيد بن المعلى قال : كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه، فقلت : يا رسول الله إنني كنت أصلي، فقال : (ألم يقل الله «استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم» ثم قال لي : لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد، ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج قلت له : ألم تقل : لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في

(١) رواه مسلم في صحيحه، فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة والحث على قراءة الآيتين (٤/٢٣٤).

القرآن. قال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته»^(١) ، وفي هذا الحديث علاوة على فضل الفاتحة من آداب العالم والمتعلم ما يحسن الوقوف عليه.

ومن عظمة هذه السورة كذلك ما روي من كثرة أسمائها، كما جاء في سنن أبي داود عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني»^(٢) ، وسميت كذلك بالراقية والشافية لما يأتي.



المسألة الرابعة والعشرون :

أن الصلاة فرضاً كانت أو نفلاً لا تصح بدون قراءة سورة الفاتحة قراءة صحيحة كما أنزلت على محمد ﷺ ، وسواء كان المصلي إماماً أو مأموماً أو منفرداً، لما جاء في الصحيحين في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير باب ما جاء في فاتحة الكتاب (٤/٢٣٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/١٧٣٨)، وأبو داود في سننه (٤/٢٥١).

قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»^(١) والمعنى أي: لا صلاة صحيحة، وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم الكتاب فهي خداج - ثلاثاً - غير تمام)^(٢) فقيل لأبي هريرة إنا نكون وراء الإمام. فقال: اقرأ بها في نفسك. وروى البيهقي في سننه عن أبي الدرداء رضي عنه قوله: «لا يترك قراءة فاتحة الكتاب خلف الإمام جهر أو لم يجهر»، قال ابن قدامة «قراءة الفاتحة ركن من أركان الصلاة لا تصح إلا به في المشهور عن الإمام أحمد»، ولذا فإن الواجب على كل مسلم ومسلمة تعلم قراءة هذه السورة بالجلوس في حلق الذكر وسماعها من العالم بقراءتها، ولا يكاد يعذر أحد اليوم في زماننا في عدم تعلمها لتيسر أسباب ذلك والله الحمد.



المسألة الخامسة والعشرون:

أن الخطأ المغير للمعنى عند قراءة الفاتحة وهو المسمى

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢٦٣/١) ومسلم في صحيحه (٨/٢).

(٢) رواه مسلم في كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة (٢٩٦/١).

باللحن الجلي مبطل للركعة التي قرئت فيها الفاتحة على هذه الصورة، قال بعض العلماء «إن في الفاتحة أحد عشر شدة من أخل بواحدة بطلت صلاته»، ومن أمثلة الأخطاء الجلية عند قراءة الفاتحة كسر اللام الثانية في ﴿الْعَلَمِينَ﴾ فيتغير المعنى إلى أن الله رب العلماء فقط، والآية إنما نزلت بالفتح فيكون العباد كلهم مربوبون لله عالمهم وجاهلهم، ومن الخطأ الجلي عند بعضهم أنه لا يوضح الهمزة ولا يؤكد الشدة في ﴿إِيَّاكَ﴾ والكلمة عند أهل اللغة على هذه القراءة تعني قرص الشمس فتأمل عظم فساد المعنى بهذا اللحن، ومن هذه الأخطاء في تلاوتها ما نبه إليه ابن قدامة حيث قال (مثل أن يكسر كاف إياك أو يضم تاء أنعمت. فيكون المنعم على هذه القراءة هو العبد وإنما هو الله. أو يفتح ألف الوصل في ﴿أَهْدِنَا﴾).



المسألة السادسة والعشرون:

سبق بيان وجوب قراءة الفاتحة ووجوب تعلمها لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وقد بوب الإمام مسلم في صحيحه قائلاً (باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة وإنه إذا لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له

من غيرها)، وذكر تحت هذا الباب بإسناده حديث عبادة بن الصامت السابق وحديثاً آخر عن عبادة أيضاً عنه رضي الله عنه أنه قال: «لا صلاة لمن لم يقرئ بأم القرآن»^(١) "دليل المسألة الرابعة والعشرون".

أما هذه المسألة السادسة والعشرون فتحت هذه الترجمة الحديث الذي يدل عليها وهو ما جاء في صحيح مسلم من حديث المسيء صلاته وفي آخره أنه رضي الله عنه علمه كيف يصلي فقال عليه الصلاة والسلام:

«إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما يتسر معك من القرآن»^(٢) الحديث، ولكن قد يتعذر على بعض الناس تعلمها لكبر سن أو لعله في اللسان، فيجزئ عن مثل هؤلاء أن يأتي بقدر آيات الفاتحة السبعة آيات أخرى يحفظها أو يقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، لما روى ابن حبان في صحيحه عن ابن أبي أوفى أن رجلاً قال: يا رسول الله، علمني شيئاً يجزئني عن القرآن، قال: (قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا

(١) رواه مسلم في كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة (٢٩٥/١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢٦٣/١) ومسلم في صحيحه (١٠/٢).

الله والله أكبر، قال سفيان. أحد رجال هذا البحث - : أراه قال : ولا حول ولا قوة إلا بالله^(١). وقد بوب ابن حبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على هذا الحديث بقوله (ذكر الإخبار عما يعمل المصلي في قيامه عند عدم قراءة فاتحة الكتاب).



المسألة السابعة والعشرون

أن الفاتحة أعظم سور القرآن أثراً في الشفاء، وقد صح في كونها رقية أحاديث عدة منها: ما جاء في الصحيح عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: أنطلق نفر من أصحاب النبي ﷺ في سفرة سافروها، حتى نزلوا على حي من أحياء العرب، فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم، فلدغ سيد ذلك الحي، فسعوا له بكل شيء، لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعله أن يكون عند بعضهم شيء، فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهط إن سيدنا لدغ وسعينا له بكل شيء لا ينفعه، فهل عند أحد منكم من شيء، فقال بعضهم. وهو أبو سعيد راوي الحديث كما جاء ذلك صريحاً في رواية النسائي الآتي ذكرها- : نعم،

(١) رواه أبو داود في سننه (٣٠٨/١) والنسائي في الكبرى (٣٢١/١) وابن حبان في صحيحه (١١٥/٥).

والله إني لأرقي ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا،
فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلاً، فصالحوهم على
قطيع من الغنم، فانطلق يتفل عليه ويقرأ.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ فكانما نشط
من عقال، فانطلق يمشي وما به قلبه، قال: فأوفوهم
جعلهم الذي صالحوهم عليه فقال بعضهم: اقساموا، فقال
الذي رقى، لا تفعلوا حتى نأتي النبي ﷺ فنذكر له الذي
كان فننظر ما يأمرنا، فقدموا على رسول الله ﷺ فذكروا له
فقال: وما يدريك أنها رقية؟، ثم قال: قد أصبتم اقساموا
واضربوا لي معكم سهماً، فضحك رسول الله ﷺ^(١).
وروى عنه ﷺ كما عند البيهقي في شعب الإيمان أنه قال:
(فاتحة الكتاب شفاء من كل داء)^(٢)، وأحسن الرقية أن
يقرأ الفاتحة وينفث على محل الوجع مع المسح عليه، لما
جاء عند النسائي في سننه في نفس حديث الرقية السابقة
عن أبي سعيد أيضاً وفيه (فجعلت أقرأ فاتحة الكتاب
وأمسح المكان الذي لدغ حتى برأ)^(٣).

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/٢١٦٩) ومسلم في صحيحه (٧/١٩).

(٢) شعب الإيمان (٢/٤٥٠).

(٣) السنن الكبرى (٤/٣٦٤).

ولا ينبغي لا للراقي ولا للمرقى أن يستعجل لأن الرقية في حقيقتها دعاء وقد قال ﷺ : (يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول قد دعوت فلم يستجب لي فيتركه حينئذ)^(١)، ولما روى أبو داود في سننه والحاكم في مستدرکه بإسناد صححه الحاكم عن خارجه بن الصلت التميمي عن عمه أنه مر بقوم وعندهم مجنون موثق في الحديد، فقال له بعضهم : أعندك ما يداوي به هذا، فإن صاحبكم. يعني النبي ﷺ. قد جاء بخير، قال: فقرأت عليه فاتحة الكتاب ثلاثة أيام في كل يوم مرتين، فبرأ فأعطاه مئة شاة، فأتي النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال : (كل فمن أكل برقية باطل فقد أكلت برقية حق)^(٢).

وحري أن يعمل بهذه الوصفة أي تقرأ الفاتحة لمدة ثلاثة أيام في كل يوم مرتين على المريض لأنها وصفة أقرها النبي ﷺ.



(١) رواه البخاري في صحيحه (٢٣٣٥/٥) ومسلم في صحيحه (٨/٨٧).

(٢) رواه أبو داود في سننه (٢٧٧/٣) والحاكم في مستدرکه (١/٧٤٧) وأحمد (٣٦/١٥٥).

المسألة الثامنة والحشرون :

أن الفاتحة تختص عند الانتهاء من قراءتها بالجهر بقول (أمين) وذلك في الصلاة الجهرية فقط، أما بقية الصلوات فيقرأ فيها بالفاتحة مع قول أمين دون جهر بها فإن التابع له حكم المتبوع، وقد جاء في حديث وائل بن حجر عند ابن أبي شيبة في مصنفه أنه صلى خلف النبي ﷺ فلما قرأ فاتحة الكتاب جهر بآمين^(١)، ولما جاء في صحيح ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من قراءة أم القرآن رفع صوته وقال آمين^(٢)، ولما روى ابن خزيمة في صحيحه عن أبي هريرة أيضاً عن النبي ﷺ أنه قال : (إذا أمن القارئ فأمنوا، فإن الملائكة تؤمن، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه)^(٣)، وليست (أمين) بآية بل هي تلقين من جبريل عليه السلام

(١) رواه ابن أبي شيبة مصنفه (٢٢٩/١) والطبراني في المعجم الكبير (٤٩/٢٢).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (١١٢/٥) والدارقطني في سننه باب التأمين في الصلاة بعد الفاتحة (٣٣٥/١).

(٣) رواه البخاري في صحيحه باب التأمين (٢٣٥١/٥) وابن خزيمة في صحيحه باب الجهر بآمين عند انقضاء فاتحة الكتاب في الصلاة التي يجهر الإمام فيها بالقراءة (٢٨٦/١).

لنبينا ﷺ لما جاء في مصنف ابن أبي شيبة من أن جبريل أقرأ النبي ﷺ فاتحة الكتاب فلما قال (ولا الضالين) قال : قل آمين ، فقال آمين^(١) ، وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إذا قال الإمام : ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فقولوا آمين ، فمن وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه)^(٢) .

قال ابن العربي في أحكام القرآن : وقد أثر عن ابن عباس أنه قال : " ما حسدكم أهل الكتاب على شيء كما حسدوكم على قولكم : آمين " ، وذهب الإمام مالك إلى أن الإمام لا يؤمن وخالفه ابن العربي المالكي في أحكام القرآن فقال بعد أن نقل كلام مالك : " والصحيح عندي تأمين الإمام جهراً ؛ فإن ابن شهاب قال : (وكان رسول الله ﷺ يقول آمين)^(٣) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما ، وفي البخاري (حتى إن للمسجد للجة من قول الناس آمين)^(٤) " اهـ .

(١) مصنف أبي شيبة باب من ذكروا في آمين ومن كان يقولها (٢) /٤٢٥ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه باب جهر المأموم بالتأمين (١/٢٧١) .

(٣) رواه البخاري باب القراءة خلف الإمام (٢٢٣) ورواه مسلم باب التسميع والتحميد والتأمين (٩٤٢) .

(٤) رواه البخاري - باب جهر الإمام بالتأمين (٧٨٠) .

ويستحب رفع الصوت بآمين مع مداها للإمام والمأموم لما روى ابن حزم بإسناده عن وائل بن حجر قال: (سمعت رسول الله ﷺ قرأ ولا الضالين فقال آمين يمد بها صوته)، وهو فعل السلف كما روى ابن حزم بإسناده عن ابن جريج قال: قلت لعطاء: أكان ابن الزبير يؤمن على إثر أم القرآن؟ قال نعم، ويؤمن من وراءه، حتى إن للمسجد للجة. قال عطاء: وكان أبو هريرة يدخل المسجد وقد قام الإمام قبله فيقول ويناديه: لا تسبقني بآمين. قال عطاء: ولقد كنت أسمع الأئمة يقولون هم أنفسهم على إثر أم القرآن (آمين) هم ومن ورائهم حتى إن للمسجد للجة^(١)، يعني: صوت وجلبة من قوة ما يرفعون به أصواتهم بل كانوا يحرصون على آمين حرصاً عجيباً كما روى ابن حزم بإسناده عن أبي هريرة أنه كان مؤذناً للعلاء بن الحضرمي بالبحرين فاشترط عليه أن لا يسبقه بآمين^(٢).

والجهر بها للإمام والمأموم هو رأي جمهور أصحاب الحديث منهم الإمام أحمد رحمته الله.



(١) أخرجه ابن المنذر في الأوسط باب ذكر مد الصوت بآمين (١٣٢٣).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه - باب آمين (٢٦٣٧).

المسألة التاسعة والعشرون :

أن المأموم يؤمن إذا انتهى إمامه من قول: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ولو لم يؤمن الإمام نسياً أو جهلاً للحديث عند ابن خزيمة في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبنا، فبين لنا سنتنا وعلمنا صلاتنا فقال: فإذا كبر الإمام فكبروا، وإذا قال: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فقولوا: آمين يحبكم الله)، قال أبو بكر ابن أبي شيبة: "هذا الخبر من باب تأمين المأموم عند فراغ الإمام من قراءة فاتحة الكتاب، وإن لم يؤمن جهلاً ونسياناً" (١).



المسألة المتممة للثلاثين :

أن البسمة آية من الفاتحة لا تصح تلاوتها ولا الصلاة من دون قراءتها، غير أنه يقرأها في الصلاة سرا، لما روى البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «الحمد لله رب العالمين سبع آيات إحداهن بسم الله

(١) صحيح ابن خزيمة باب ذكر إجابة الرب عز وجل المؤمن عند فراغ قراءة فاتحة الكتاب (٣/٣٧) بلفظ "يحبكم الله" وله شاهد عند مسلم في صحيحه باب التشهد في الصلاة (٢/١٤).

الرحمن الرحيم، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم وهي أم القرآن وهي فاتحة الكتاب»^(١)، ولما روى ابن خزيمة في صحيحه عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في الصلاة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قالت: فعدها آية^(٢)، وهو رأي ابن عباس وسعيد بن جبير، قال ابن قدامة: ولأن الصحابة رضي الله عنهم أثبتوها في المصاحف ولم يثبتوا بين الدفتين سوى القرآن.

وقد تشدد ابن خزيمة رحمته الله في الانتصار بأن البسملة آية من فاتحة الكتاب فبوب باب قال فيه (باب ذكر خبر غلط في الاحتجاج به من لم يتبحر في العلم فتوهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة في فاتحة الكتاب ولا في غيرها من السور) ثم ساق بإسناده هذا الخبر عن أنس رضي الله عنه قال: (صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع أبي بكر وعمر فلم أسمع أحدا منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم)^(٣)، ثم بوب رحمته الله بعد هذا الأثر بابا قال فيه (باب

(١) السنن الصغرى للبيهقي باب افتتاح الكتاب بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) (١/٣٢٥).

(٢) صحيح ابن خزيمة باب ذكر الدليل على أن بسم الله الرحمن الرحيم آية من فاتحة الكتاب (١/٢٤٨).

(٣) رواه مسلم في صحيحه باب حجة من قال لا يجهر بالبسملة (٢/١٢).

ذكر الدليل على أن أنسا إنما أراد بقوله لم أسمع أحدا منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، أي لم أسمع أحدا منهم يقرأ جهرا بسم الله الرحمن الرحيم، وأنهم كانوا يسرون بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة، لا كما توهم من لم يشتغل بطلب العلم من مظانّه وطلب الرئاسة قبل تعلم العلم!!!) ثم ساق هذا الخبر بإسناده عن أنس رضي الله عنه قال: (صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فلم يجهروا بسم الله الرحمن الرحيم)^(١).

قال الألباني: إسناده صحيح وما أعل به من الاضطراب فليس بشيء إذ يمكن التوفيق بين وجوه الاختلاف.

ومذهب حفص عن عاصم أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة إلا سورة براءة ويفصل بها بين السور كلها إلا بين الأنفال وبراءة^(٢).

قال ابن تيمية في الفتاوى (٤١٨/١٣): (...، بخلاف البسملة؛ فإنها من القرآن حيث كتبت في مذهب الشافعي

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، باب ذكر الدليل على أن بسم الله الرحمن الرحيم آية من فاتحة الكتاب (٤٩٥).

(٢) الملخص المفيد في علم التجويد، محمد أحمد معبد.

وهو مذهب أحمد المنصوص عنه في غير موضع، وهو مذهب أبي حنيفة عند المحققين من أصحابه وغيرهم من الأئمة لمن مذهب أبي حنيفة وأحمد وغيرهما أنها من القرآن، حيث كتبت البسمة وليست من السورة، ومذهب مالك ليست من القرآن إلا في سورة النمل وهو قول في مذهب أبي حنيفة وأحمد) أهـ.

قال ابن قدامة : والجهر يعني بالبسمة. غير مسنون عند الإمام أحمد رحمته الله، لا اختلاف عنه فيه. قال الترمذي : وعليه العمل. يعني ترك الجهر بالبسمة. عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم من التابعين منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.



المسألة الحادية والثلاثون

تقرأ فاتحة الكتاب وجوبا في صلاة الجنازة بعد التكبير الأولى، لما جاء في الصحيح عن طلحة بن عبد الله بن عوف قال : (صليت خلف ابن عباس رضي الله عنهما على جنازة فقرأ بفاتحة الكتاب، قال ليعلموا أنها سنة)^(١)، أي أنها طريقة

(١) رواه البخاري في صحيحه باب يقرأ فاتحة الكتاب على الجنازة (١)

النبي ﷺ في أدائها، وترجم البخاري لهذا الحديث بقوله
(باب قراءة فاتحة الكتاب على الجنازة).



المسألة الثانية والثلاثون

أن سبب تسميتها بفاتحة الكتاب ما قاله البخاري رَحِمَهُ اللهُ
في صحيحه : سميت أم الكتاب لأنه يبدأ بكتابتها في
المصاحف ويبدأ بقراءتها في الصلاة^(١). وعن تسميتها
بالسبع المثاني في ذلك أقوال : منها ما رواه ابن جرير
بإسناده عن سعيد بن جبير أنه سأل ابن عباس ما
المثاني؟ قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : هي أم القرآن استثناها الله
لمحمد ﷺ فرفعها في أم الكتاب، فذخرها لهم حتى
أخرجها لهم ولم يعطها لأحد قبله^(٢)، وقيل : المثاني هو
القرآن العظيم، وقد جاء عن ابن عباس أنه قال : السبع
المثاني هو القرآن العظيم^(٣) مستدلاً بقوله تعالى : ﴿اللَّهُ

(١) صحيح البخاري سورة فاتحة الكتاب (٤/١٦٢).

(٢) أخرجه الطبري (١٧/١٣٧).

(٣) رواه أبو داود في سننه باب السكتة عند الافتتاح (١/٢٨٢) وابن
ماجة في سننه باب في سكتتي الإمام (١/٢٧٥) والبيهقي في سننه
الكبرى باب في سكتتي الإمام (٢/١٩٦).

نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِّهًا مَثَانِيًا ❀ ، وقيل : معاني القرآن ، وقيل : لأنها تشي في الصلاة فتقرأ في كل ركعة وهو ما رجحه ابن جرير. وقيل السبع المثاني : هي السبع الطوال وهي السبع الأولى ، يروى ذلك عن ابن عباس وابن مسعود وابن عمر ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم يعنون : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس ، نص عليه ابن عباس وسعيد بن جبير.



المسألة الثالثة والثلاثون :

بعد أن يتم القارئ في الصلاة قراءة الفاتحة وبعد قوله آمين فإنه يسكت سكتة يسيرة استحباباً قبل أن يشرع في السورة التي قبلها ، لما روى البيهقي وأبو داود وابن ماجه عن الحسن عن سمرة بن جندب قال : (حفظت سكتين في الصلاة ، سكتة إذا كبر الإمام حتى يقرأ - وهي سكتة دعاء الاستفتاح المثبتة في الصحيح من حديث أبي هريرة - وسكتة إذا فرغ من فاتحة الكتاب قال : فأنكر ذلك عمران بن حصين قال : فكتبوا في ذلك إلى أبي بن كعب فكان

في كتابه إليهما أن سمرة قد حفظ^(١)، وفي سماع الحسن من سمرة اختلاف عند المحدثين، لكن في هذا الأثر يقول أبو حاتم رَحِمَهُ اللهُ: الحسن لم يسمع من سمرة شيئاً وسمع من عمران بن حصين هذا الخبر، واعتمادنا فيه على عمران دون سمرة.



المسألة الرابعة والثلاثون

يستحب للقارئ أن يستعيز بالله من الشيطان الرجيم قبل البسملة، لقوله تعالى: «فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم»، ولما جاء في مصنف الإمام عبد الرزاق الصنعاني عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ كان يقول قبل القراءة (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)^(٢). وله أن يقول (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم) يروى ذلك عن الحسن البصري كما في مصنف عبد الرزاق وفيه عن هشام بن حسان قال: (كان الحسن يستعيز مرة حين يفتح صلاته)، وليست بواجبة لأن النبي ﷺ لم يعلمها الأعرابي حين علمه الصلاة.

(١) مصنف عبد الرزاق باب متى يستعيز (٢/٨٦).

(٢) السابق.

المسألة الخامسة والثلاثون :

متى أخطأ في ترتيب آيات الفاتحة أو في نطقها فأعادها صحيحة أتمها، قاله ابن قدامة في الشرح، فإن لم يعدها صحيحة حتى انتقل للركن الذي بعدها وهو الركوع بطلت هذه الركعة وصارت الركعة التي بعدها محل هذه الركعة التي لم تقرأ فيها الفاتحة صحيحة، وعليه فيجب أن يأتي بركعة أخرى، فإن أتى بركعة أخرى صحت صلاته وإلا بطلت كل الصلاة لا سيما إن طال الفصل.

**المسألة السادسة والثلاثون :**

إن أخطأ الإمام في قراءة الفاتحة وجب الفتح عليه وتصويب قراءته، لما روى أبو داود في سننه عن مسور بن يزيد المالكي قال : (شهدت رسول الله ﷺ يقرأ في الصلاة فترك آية من القرآن، ف قيل يا رسول الله : آية كذا وكذا تركتها، فقال : (فهلأ أذكرتنيها)^(١)، وهذا الحديث وإن كان ظاهره فيما يقرأ بعد الفاتحة إلا أن الفاتحة تدخل في ذلك لما ثبت كونها ركناً في الصلاة وأن اللحن الجلي أو

(١) سنن أبو داود باب الفتح على الأمام في الصلاة (٣٤ / ١) قال الألباني : حسن.

النقص منها مبطل للصلاة لأنها على هذا اللحن وهذا
النقص لم تقرأ صحيحة فكانها لم تقرأ، ورسول الله ﷺ
يقول: (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)^(١) ووجب
حينئذ أن يحال بين الصلاة وما يبطلها؛ فوجب الفتح على
ما سبق، فإن أخطأ الإمام بأحد صور الخطأ التي سبقت
ولم يعدها صحيحة فإن إمامته باطلة ووجب على العالم
بذلك الخطأ مفارقتة، وهو مخير بين أن ينفرد بصلاته كما
فعل الرجل الذي استقل بنفسه لما أطال معاذ الصلاة بهم
وأقره النبي ﷺ على هذه المفارقة لما جاءه يشكوه
معاذا^(٢)، أو يستأنف الصلاة في جماعة أخرى، مع
وجوب تنبيه المصلين بذلك مع القدرة والحكمة وأمن الفتنة
في المساجد، فإن بعض الناس يبالغ في النكير على بعض
أئمة الصلوات عندما يخطئون ويرفع صوته بذلك أمام
الناس وربما أخذت الإمام العزة وحصل في تصرفه هذا
شر وبغضاء، وكل هذا مردود شرعاً وغير مقبول.



(١) سبق تخريجه ص ٢٤.

(٢) أخرجه البخاري - كتاب الأذان - باب من شك إمامه إذا طول

(٧٠٥)، ومسلم - كتاب الصلاة - باب القراءة في العشاء (٤٦٥).

المسألة السابعة والثلاثون :

لا تصح إمامة الأمي إلا بمثله، وهو في الصلاة من يجهل الفاتحة أو لا يحسنها أو لا يفقه أركان الصلاة وواجباتها، فلا تصح إمامة هذا بمن يحسن قراءة الفاتحة، ومثله من يلحن لحنا يحيل المعنى، لقوله ﷺ : (يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله) ^(١) الحديث، وهو إخبار بمعنى الأمر أي لا يؤم القوم إلا أعلمهم، ولأن من يحسن القراءة قادر على هذا الركن والأمي عاجز عنه فلا تصح، وهنا ينبغي التنبيه إلى أن الإمامة في الصلاة منصب شرعي وخلافة عن رسول الله ﷺ في هذا المقام الأشرف مقام الصلاة، وليس مجال للمجاملات فيقدم بعضهم كبير السن لكبر سنه وهو أمي كما سبق أو يقدم ذو المكانة لمكانته وإن كان يظهر الفسق من حلق اللحى وإسبال الثياب، وهذا بلاء انتشر في زماننا يدل على ضعف قدر الصلاة في نفوس هؤلاء، إذ اختاروا طوعاً أو عدم مبالاة أو حياء مذموماً أن يؤمهم مثل هذا، وهذا أيضاً مع أمن الفتنة والضرر، فيقدم الأصلح الأعلم ما أمكن، كما لا ينبغي أن يتحرج طالب العلم والعالم من التقدم للإمامة في الصلاة بالناس فإنه

(١) رواه مسلم في صحيحه باب من أحق بالإمامة؟ (٢/١٣٣).

الأحق بها شرعاً، والكلام عن الإمامة وأحكامها يقصر عن استيعابه هذا المقام، والمقصد التنبيه على هذه المسألة فحسب.



المسألة الثامنة والثلاثون :

لا يشرع تكرار الفاتحة في الركعة الواحدة وإن أطال الإمام أو لم يجد المصلي غيرها يقرأ به في صلاته وإنما يكتفي بقراءتها مرة واحدة فقط في الركعة الواحدة، لأنه لم ينقل هذا التكرار عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه رضوان الله تعالى عليهم، وفي بطلان الصلاة بتكرار الركن خلاف، فالأولى تركه، كما لا يشرع أيضاً قراءتها في غير ركن القيام أو ما ينب عنه للعاجز عنه، بل لا يصح أن يقرأ عموم القرآن في غير ركن القيام أو ما ينب عنه لنهيه ﷺ عن ذلك.



المسألة التاسعة والثلاثون :

أن الركعة في الصلاة إنما تدرك بالركوع المسبوق بقراءة الفاتحة وركن القيام لمن قدر عليه، لا بالركوع فقط، على ما انتصر له أبو محمد ابن حزم في المحلى. ومسألة بم تدرك

الركعة محل خلاف عند العلماء والراجح والله الموفق هو قول أبي محمد بن حزم وخلاصة الخلاف ما يلي :

أن أصح القولين في المسألة هي أن المسبوق يدرك الركعة بإدراكه الركوع فما بعده، والثاني أنه يدركها بالقيام ثم الفاتحة فما بعدها واحتج من قال بالأول بأحاديث صحيحة منها : «من أدرك من الصلاة ركعة فقد أدرك الصلاة»^(١) وهو في البخاري ومسلم، وحديث أبي بكر رضي الله عنه أنه جاء والقوم ركوع فركع ثم مشى إلى الصف فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : «زادك الله حرصاً ولا تعد»^(٢) وهو في البخاري، وحديث (من أدرك الصلاة ركعة فقد أدرك السجدة)^(٣) وهو في البخاري ومسلم.

ورد أصحاب القول الراجح : (ومنهم علي وابن حزم الظاهريان) على استدلال أصحاب القول الأول بما يلي :

أما قول النبي صلى الله عليه وسلم : «من أدرك من الصلاة ركعة فقد أدرك الصلاة» فليس فيه أنه إن أدرك الركوع فقد أدرك

(١) رواه البخاري في صحيحه باب من أدرك من الصلاة ركعة (١) / (٢١١) ومسلم في صحيحه باب من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك تلك الصلاة (١٠٢/٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه باب إذا ركع دون الصف (١) / (٢٧).

(٣) موطأ مالك رواية يحيى الليثي باب من أدرك ركعة من الصلاة (١) / (١١-١٠).

الوقفه وكذا اتفقهم أنه لا يسقط عنه قضاء ما لم يدرك عن الصلاة.

وأما قوله ﷺ «من أدرك الركعة فقد أدرك السجدة» فليس فيه أنه إن أدرك الركعة فقد أدرك الوقفة وكذا اتفقهم أنه لا يسقط عنه قضاء ما لم يدرك من الصلاة.

وأما قوله ﷺ : «من أدرك الركعة فقد أدرك السجدة» فليس فيه أنه إن أدرك الركعة فقد أدرك الوقفة التي قبل الركوع.

وأما حديث أبي بكره فلا حجة لهم فيه أصلاً، لأنه ليس فيه : أنه اجتزأ بتلك الركعة وأنه لم يقضها.

وقد صح عنه ﷺ كما في البخاري ومسلم أنه قال «أئتوا الصلاة وعليكم السكينة فصلوا ما أدركتم وأقضوا ما سبقكم»^(١) و صح عنه ﷺ كما في المسند وعند النسائي

(١) رواه البخاري - باب قول الرجل فاتتنا الصلاة وباب لا يسعى إلى الصلاة وليأت بالسكينة والوقار وباب المشي إلى الجمعة بلفظ "فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتوا" (٢٢٨/١) و (٣٠٨/١) ومسلم - باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة والنهي عن إتيانها سعيًا بلفظ "فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتوا" والرواية الثانية "فما أدركتم فصلوا وما سبقكم فأتوا" (١٠٠/٢).

قوله : «ما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا»^(١) وبيقين يدرك كل فقيه أن من أدرك الركعة فقد فاتته الوقفة وقراءة القرآن وكلاهما فرض لا تتم الصلاة إلا به وهو مأمور بنص كلام النبي ﷺ بقضاء ما سبقه وإتماما ما فاتته، فلا يجوز تخصيص شيء عن ذلك بغير نص.



المسألة المتممة للأربعين :

من شك هل أخطأ في الفاتحة أو لا فإنه لا يخلو أن يكون : متيقناً من خطأه فيها فيعيد ما أخطأ فيه مصححاً ويبني على ذلك كما سلف وهذا ما لم ينتقل للركن الذي يلي قراءة الفاتحة فإن انتقل عمل حينئذ بما سلف في المسألة الرابعة والثلاثين، أو شاكا وغلب على ظنه الخطأ فيعمل وكأنه متيقن لهذا الخطأ كما سبق بيانه قريباً، أو شاكا وغلب ظنه أنه قرأها صحيحة فيبني على أنه قرأها صحيحة، أو لم يترجح له شيء فيبني احتياطاً على أنه أخطأ فيها فيعمل بما سبق، أو الخامسة ونعوذ بالله منها وهي الوسوسة فيعرض عنها وليتق الله ولا يسترسل معها وليستعد بالله من شرها.

(١) رواه أحمد في مسنده (١٦٧/١٢)، والنسائي بلفظ "وما فاتكم فاقضوا" في باب السعي إلى الصلاة (١١٤/٢).

خاتمة المسائل الحادية والأربعين:

أن من تعلم ما سبق من تفسير هذه السورة العظيمة وأحكامها لزمه أن يعمل بما علم وأن يعلمه غيره على قدر استطاعته لما جاء في الصحيح من حديث أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(١).

هذا آخر الكتاب :

ما كان فيه من خطأ فمني واستغفر الله وأسأله سبحانه الأجر على اجتهادي، وما كان من صواب فمن توفيق ربي، وأسأله سبحانه أن يجعله شفيعا لي يوم الدين، وأن ينفع به كاتبه وقارئه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين، ، ،

(١) رواه البخاري في صحيحه باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه (٤/١٩١٩) وأبو داود في سننه باب في ثواب القرآن (١/٥٤٣) والترمذي في سننه باب ما جاء في تعليم القرآن (٥/١٧٣) وابن ماجه في سننه بروايتين الأولى عن شعبة "خيركم" الثانية عن سفيان "أفضلكم" في باب فضل من تعلم القرآن وعلمه (١/٧٦).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
تقديم: فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن مرزوق الطريفي	٥.....
نبذة عن المؤلف	٧.....
صفاته:	٧.....
مواقف:	٧.....
مقدمة الكتاب	١٣.....
سورة الفاتحة	١٧.....
مسائل السورة	٤٨.....
المسألة الأولى:	٤٨.....
المسألة الثانية:	٤٩.....
المسألة الثالثة:	٥٠.....
المسألة الرابعة:	٥٠.....
المسألة الخامسة:	٥٠.....
المسألة السادسة:	٥٠.....
المسألة السابعة:	٥١.....
المسألة الثامنة:	٥١.....
المسألة التاسعة:	٥٢.....

- المسألة العاشرة : ٥٢
- المسألة الحادية عشرة : ٥٢
- المسألة الثانية عشرة : ٥٣
- المسألة الثالثة عشر : ٥٣
- المسألة الرابعة عشر : ٥٣
- المسألة الخامسة عشرة : ٥٣
- المسألة السادسة عشرة : ٥٤
- المسألة السابعة عشرة : ٥٥
- المسألة الثامنة عشرة : ٥٦
- المسألة التاسعة عشرة : ٥٦
- المسألة المتممة للعشرين : ٥٧
- المسألة الحادية والعشرون : ٥٨
- المسألة الثانية والعشرون : ٥٩
- المسألة الثالثة والعشرون : ٦٠
- المسألة الرابعة والعشرون : ٦١
- المسألة الخامسة والعشرون : ٦٢
- المسألة السادسة والعشرون : ٦٢
- المسألة السابعة والعشرون : ٦٥
- المسألة الثامنة والعشرون : ٦٨
- المسألة التاسعة والعشرون : ٧١

- المسألة المتممة للثلاثين : ٧١.....
- المسألة الحادية والثلاثون ٧٤.....
- المسألة الثانية والثلاثون ٧٥.....
- المسألة الثالثة والثلاثون : ٧٦.....
- المسألة الرابعة والثلاثون ٧٧.....
- المسألة الخامسة والثلاثون : ٧٨.....
- المسألة السادسة والثلاثون : ٧٨.....
- المسألة السابعة والثلاثون : ٨٠.....
- المسألة الثامنة والثلاثون : ٨١.....
- المسألة التاسعة والثلاثون : ٨١.....
- المسألة المتممة للأربعين : ٨٤.....
- خاتمة المسائل الحادية والأربعين : ٨٥.....

